ثنائية الانزواء والتجلي في المنجز اللغوي تأملات في علاقة اللغة بالعقل

✍ الدكتور

يحيى بن أحمد العقيبي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة والنحو والصرف ـ كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الثالث (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

ثنائية الانزواء والتجلي في المنجز اللغوي تأملات في علاقة اللغة بالعقل

يحيى بن أحمد العقيبي

قسم اللغة والنحو والصرف ـ كلية اللغة العربية جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : yahya55@gmail.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آلة وصحبة أجمعين .

عنوان البحث : ثنائية الانزواء والتجلي تأملات في علاقة المنجز اللغوي بالعقل ذلك أن العقل الذي هو مستودع الفكر والمعرفة اللغوية باعتبارها نظاما مشتركا بين عقول الجماعة اللغوية يصبغ بتوجهاته النص الصادر عنه حتى ليعود ذلك المنجز اللغوي ترجمانا لذلك العقل وناقلا أمينا لما يبطنه من أفكار، وأن ذلك الأثر الذي ينتهي إلى النصوص ليس في الحقيقة إلا صورة لما يجري في العقل من الارتكاس أو الانتعاش ، وأن بعض أنواع النصوص فيها من الغموض والكمون ما يوجب عدم العجلة في الحكم عليها بناء على ظاهرها ، فربما كان ظاهرها الانزواء والتراجع ، ولكن ذلك عند النظر يكون هو الغرض الذي أمَّه الواضع وقصد إليه عقل المتكلم فكما أن الإبانة هي غرض اللغة في الأصل فقد يكون تركها في موضع آخر هو الإبانة ، فاتخذ البحث من مكونات المنجز اللغوي صوتاً وبنية ، وتركيباً ودلالة ،دلائل تفضي به إلى باطن عقل المنشئ وربما انفرد أحد المستويات بذلك، وربما شاركه غيره في تحقيق فكرة أن يكون النص هو الوجه الظاهر من العقل والمشهد المجسد له ليقول لنا في النهاية هكذا فكر العقل وقد أبرز البحث ذلك بجملة من النماذج تصور مسلكيه الانزواء والتجلي مع رصد لأهم ثمار مثل هذا النوع من الدرس على مستوى التعلم والتعليم مرورا بخدمة المجتمع وانتهاء بالإسهام في قضايا التخطيط اللغوي من خلال النتائج والتوصيات التي خلص إليها.

الكلمات المفتاحية : اللغة ، العقل ، التفكير، الانزواء اللغوي ، التجلي البياني ، المعرفة ، الصوت .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

The duality of isolation and manifestation in the linguistic achievement: Reflections on the relationship of language to the mind

Yahya bin Ahmed Al-Uqaibi
Department of Language, Grammar and Morphology, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: yahya55@gmail.com

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the Messengers, and upon all his family and companions.

Research Title: The Duality of Recluse and Transfiguration Reflections on the Relationship of the Linguistic Achievement to the Mind, because the mind, which is the repository of thought and linguistic knowledge as a common system among the minds of the linguistic group, imbues with its orientations the text issued by it until that linguistic achievement returns as an interpreter for that mind and an honest transmitter of the ideas that it contains, and that that The effect that ends up in the texts is in fact nothing but a picture of what is going on in the mind of regression or recovery, and that some types of texts contain ambiguity and latency, which necessitates not rushing to judge them based on their appearance, perhaps their apparent regression and retreat, but that upon consideration is the same. The purpose that the compiler brought to it and intended for the speaker's mind, just as eloquence is the purpose of the language in the original, it may be left in another place is elucidation, so the research took from the components of the linguistic achievement sound, structure, structure and semantics, clues that lead it to the inner mind of the originator, and perhaps one of the levels is unique in that, Perhaps others participated with him in realizing the idea that the text is the apparent aspect of the mind and the embodied scene of it, to tell us in the end this is the thought of the mind. To the most important fruits of this kind of lesson on the level of learning and teaching, passing through community service and ending with contributing to the issues of language planning through the results and recommendations that he concluded.

Keywords: language, mind, thinking, linguistic isolation, graphic manifestation, knowledge, sound.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد :

فقد اختلف الناس منذ القديم في حقيقة اللغة ومصدرها ، ولكنني – وأحمد الله – من قوم لا يرون في العربية إلا دينا ، ولا ينازعون في كونها هبة الله ، وخلقاً من خلقه ،"الرحمن خلق الإنسان علمه البيان" وأنه لا يستوي أن أخوض في أهي من عند الله أم من عند غيره ؟ أهي محاكاة أصوات أو استجابة لغريزة مستودعة في الإنسان ...

فإن ذلك كله اجتهاد مع وجود نص قاطع ، وبرهان من الله ساطع ، لا محل فيه لدفع أو اعتراض يقول الله تعالى : { وعلم آدم الأسماء كلها}[١]، فكان أول علم تلقفته البشرية هو العلم باللغة التي أمتن الله بها على آدم وذريته من بعده ، نعم لا ينفي هذا أن يكون للناس فيه تدخلات وتأثيرات بل هذا من الثابت الذي يقطع به العقل والنقل ، فمما لا خلاف فيه أنه جد ويجد من الأشياء ما لم يكن وهذا يقتضي أن يتعامل مع هذه الأشياء بالاتساع في اللغة والتواضع أحياناً وإماتة دلالة وإحياء أخرى ونحو ذلك ، وأما النقل فقد قال الله تعالى : { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه }[٢] ، والحديث في هذه المسألة ربما يتحاماه أكثر الدارسين ويلحقونه بالبحوث الفلسفية " لأن منهج البحث فيه لا يتفق في شيء مع ما يجب أن تكون عليه مناهج البحث في العلوم ، وهذا الرأي هو السائد الآن ، ولذلك لا يكاد المحدثون من علماء

---

(١) البقرة / ٣١ .

(٢) إبراهيم / ٤ .

اللغة يعرضون لهذا الموضوع وإن عرضوا له تناولوه على أنه دخيل على مادتهم "[١]

ويقول د. السعران : " علم اللغة يميل إلى أن ينحي البحث في نشأة اللغة من مجال دراسته "[٢] ، غير أن الناظر في المؤلفات قديمها وحديثها يجد أن الزعم بالتنحية لا واقع له ولو لم يكن من دراسة هذا الموضوع إلا استحضارهم له ثم تنحيته لكفاه في إثبات عدم قدرتهم عن التخلي عنه !! فيهمون بأمر الحزم لو يستطيعونه ولكنهم لتفرق الآراء فيه واختلاف الغربيين القوي حوله يوصون بتركه وهذا عجيب !! فكيف نقبل القول بعدم تصوره ؟!!

وحتى لو اختلفنا فيه فليس الخلاف عيباً على كل حال ، ولا هو نقص فيتحامى ويترك ، وما علمنا العلوم نهضت أو تشكلت إلا حين طرق جوهرها الخلاف البناء ، والرأي المغاير فاستتمت واقفة سامقة قوية ، ودونك نحو العربية خير شاهد وأصدق مثال .

ومع كل ذلك التحامي والتحاشي لموضوع نشأة اللغة تجد القوم لا ينفكون عنه رغماً فيندفع أحدنا إلى النظر فيه واعتقاد وجه ما من أوجهه افترضه عليه طبيعة بحوثه ونوع تلقيه وثقافته وافتتانه باللغة وافتنانه فيها، أو محاولة زعزعتها والتشكيك في جودتها ، وكل ذلك موجود ، ولكل قوم وارث ، ولقد أحسن الأنطاكي حين قال : " يصر أكثر علماء اللغة اليوم على إخراج مسألة أصل اللغة من مجال البحث اللغوي ، ومع ذلك تجدهم وهم

(١) علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي / ٦ .
(٢) علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي / ٥٠ .

مشغولون ببيان عقم البحث في هذه المسألة تجدهم ينساقون بغير شعور منهم إلى البحث فيها وإلى طرح نظرياتهم الخاصة "[١].

ولعل من هذا النظر الخاص : اعتبار أن اللغة التي هي بمفهوم النظام الفكري والمعرفة اللغوية الأم هو ما استودعه الله عقول خلقه ، فهو شركة بين البشر وهو صنع الله { الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين }[٢] ، والحظ ربط الإنسان بأصل خلقه الطين والحظ أيضاً إحسانه تعالى لكل شيء خلقه تجد أن مما يدخل في ذلك (اللغة) بدأ وخلقا وسلّح بها العقل أبداً ، وجعلها له كالمرادف ، ولكن تلك هي اللغة والنظام ، لا اللغة العلامة والصوت والأنحاء الخاصة بكل قوم وأمة ، فهذا شيء وما أقصده من خلق اللغة من لدن الله شيء آخر .

إذن فليست اللغة بمفهوم النظام من خلق الإنسان ولا أن " اللغة العربية من صنع الإنسان ثم صارت سجناً للإنسان " كما يقول د. زكي نجيب محمود [٣] ، وإنما اللغة من عند الله أودعها عبده كما أودع فيه كل مقومات عيشه وبقائه ، فلِمَ إنكار ذلك وإخراجه من حدود العلم ؟! فأما نحو اللغة ورفدها واستخراج ما يضبطها فلا شك أنه من عمل الناس وكله إنما يدور في فلك اللغة الصوت لا اللغة الفكر ، ومما سبق رأيت أن في اعتبار المنجز اللغوي المتمثل في النصوص أيّاً كان نوعها وغرضها خير ما يمكن أن ينطلق منه إلى كشف خبايا النفوس ومعرفة مغاليق الخلق وأسرار دفائن

---

(١) دراسات في فقه اللغة / ٤٧ .

(٢) السجدة / ٧ .

(٣) انظر ذلك النقل عن د. زكي في : العقل اللغوي ، لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري / ١٢ .

العقول لا سيما الحي منها ولا أقصد بالحي الذي هو ضد الميت ولكن أقصد صاحب البصمة والتأثير ، وأن بعض هذا التأثير ربما كان سلبياً له سطوة وقوة في من يتبعه ، وجعلت رائدي إلى ذلك قوله تعالى : { ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم}(١)، وجاء هذا الامتنان الإلهي على نبيه الكريم في أنه دله على الكيفية والصفة التي يعرف بها المنافقين والمخادعين ، وأن سبيل ذلك أمران: سيماهم ، وقوالهم وميلهم فيها عن الوجه، فجاء هذا الامتنان العجيب بعد قوله عز اسمه : { أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم }(٢).

فكيف دلّ الله نبيه على أضغانهم ، وكيف فضح الله سرائر عقولهم ، وما الذي أراد الله عز وجل لنبيه أن يعرفه من أحوالهم وخبايا نفوسهم ؟!! إنه قولهم الذي حكاه الله عنهم قبل ذلك بآيات فقال { ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم }(٣).

الله أكبر ، كيف فضح ذلك الإسرار بالوحي فكان هبة النبي المختص عليه السلام بالوحي ، وكيف جعله الله لنا بعد ذلك إرثاً يكون لمن عظم يقينه بالله وثقل ميزانه من طاعة الله ورجع حظه من نور توحيده وبرد التسليم له، جعلنا الله أجمعين منهم ، فقد ذكر الله أن معرفة خبايا العقول وخفايا النفوس ليس بالممتنع ولا الغيب ؛ لأن عند الناس منه طرف وفي أيديهم منه عناج وليس ذلكم الطرف والحبل والسبب إلا :(السيما ولحن القول) ،

---

(١) محمد / ٣٠ .
(٢) محمد / ٢٩ .
(٣) محمد / ٢٦ .

ومعرفة السيما هي الفراسة وهي راجعة إلى الهينات والظواهر كما قال الله عز وجل : { إن في ذلك لآيات للمتوسمين }[١] ، قال بن عباس {للناظرين}[٢] والنظر محله الظاهر ومما يتناقل الناس قولهم :العيون مغاريف القلوب..

فأما البواطن ومستودعات العقول فلا سبيل إليها ولا طريق لتحرير ما فيها إلا من طريق (لحن القول) وطريقة الأداء وتركيبة اللغة ومكونات اللسان فكان ذلك أكبر إيذان لهذا البحث وغيره في اعتماد التدسس واتخاذ التماهي والغوص والجوس في أنحاء اللغة العلامة اللغة الصوت ليوصل منها إلى عقل منشئها ونفس فاطرها ،وأن ذلك كما يكون في السلب من الأمور يكون أيضاً في النافع الصالح والحظ الراجح ، بل إن هذا النوع حري بالنظر والمتابعة لأنه بالنسبة لنا دراسي اللغة ممكن مزية وموضع مطوية إن أحسنا حفرها وبحثها شربنا وروينا ، وأروينا من خلفنا من سجول العقول وهبات الإبداع فيلتذ باللغة ويعرف لها قدرها ونعيد سيرتها الأولى أيام كان لا يشغلهم عنها شاغل ولا ينزفهم عن كأسها نازف والعربية تستحق منا ذلك وزيادة لأنها في النهاية دليل محبتنا لله ورسوله ولا تعجب لذلك أو تزدريه فليس فيه إلا النقل ، واستمع إليه في نسخة الأصلية يقول أبو منصور الثعالبي : " من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام

(١) الحجر / ٧٥ .
(٢) انظر : تفسير بن كثير ٢ / ٧٢٣ .

وشرح صدره للإيمان ، وآتاه الله حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ، ومفتاح الثقة في الدين ، وسبب صلاح المعاش والمعاد "[١].

فاللهم إني أشهدك على حب العربية من محبتي لك سبحانك ولرسولك الكريم ودينك القويم وقوم رسولك الأمين الصالح منهم وممن هو على التوحيد فاجعل لي بصيرة أنفذ بها إلى ما أريد ، ويسر لي طريقاً أفي فيه بعض دين هذه اللغة الشريفة علي بإحراز الإصابة وتحقيق الإجادة في هذا البحث الذي أسميته :

ثنائية الانزواء والتجلي ، تأملات في علاقة المنجز اللغوي العقل .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في تمهيد يحاول فك الإشكال في مفهوم الأهمية والأسبقية بين التفكير والعقل من جهة ، وبين اللغة من جهة أخرى ويؤسس للفكرة التي هي حل لكثير من التناقضات التي اجتاحت حديث أكثر من تكلم عن موضوع اللغة والتفكير وينطلق في ضوئها إلى باقي مباحث ومطالب هذا البحث التي جاءت على النحو التالي :

أ – **المبحث الأول** : كيف نفهم التفكير اللغوي والعلاقة بينهما .

ب – **المبحث الثاني** : العقل مستودع التفكير اللغوي .

ج – **المبحث الثالث** : وفيه مطلبان :

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ، مقدمة الكتاب .

الأول : نماذج وشواهد من تأثر المنجز اللغوي بالعقل سلباً (الانزواء اللغوي)

الثاني : نماذج وشواهد على تأثر المنجز اللغوي بالعقل إيجاباً (التجلي البياني)

ثم أعقبت ذلك **بخاتمة** تضمنت أهم النتائج والتوصيات وختمت البحث بثبت يضم قائمة بالمصادر والمراجع والمقالات التي اعتمدها البحث ،والحمد لله أولا وآخرا.

(تمهيد)

يعد هذا الموضوع أعني علاقة اللغة بالتفكير من أكثر المواضيع إشكالاً وتعقيداً ، ولا يزال الناس فيه على اختلاف لا يزداد على محاولات التقريب إلا بعداً وتشعباً ، وليس غرضي هنا أن أجلّي الخلاف بين العلماء ولا بين النظريات المتعلقة بأسبقية أحدهما على الآخر أو أهميته ولا أولويته أو أوليته ... فالموضوع من هذه الوجهة لم يقف عند حدود البحث وإنما تعدى ذلك بكثير ليصير إلى جملة كبيرة من النظريات التي ربما غلب على كثير منها التعارض وربما في بعضها الاضطراب ، وليس ذلك إلا لتعدد جهات النظر واختلاف المشارب وتباين العلوم التي عنيت بهذين الثنائيين اللغة والتفكير ، فعلماء النفس على اختلاف مدارسهم ، واللسانيون على تنوع منازعهم والاجتماع والفلسفة ... كلها مجتمعة شكلت هذا التحالف الهائل ، والتشارك الواسع ، وهذا في الحقيقة حال أكثر الدراسات البينية التي تتشعبها العلوم والمعارف والأفكار المختلفة .

غير أن ما يهمنا من هذا الأمر محاولة تصور ما يقف خلف هذا التخالف الذي يمكن أن يقربه التساؤل التالي : أيهما يؤثر في الآخر ، أو إلام ينسب الأثر ، هل اللغة تخضع للتفكير ؟ أم التفكير خاضع للغة ؟

والذي يظهر بالتأمل أن سبب كل خلاف تراه في شأن اللغة والتفكير من حيث الأثر والأسبقية والأهمية ، إنما أحدثه أن من تكلم فيه على اختلاف المنازع والمساقط يتردد فهمهم للغة بين مفهومين متغايرين ، الأول : مفهوم اللغة (النظام) وأنها في الحقيقة نظام كلي " عام ليس في عقل أي

فرد أو وعيه وإنما هي شركة بين الفرد وبين بقية أفراد المجتمع اللغوي الذي يعيش فيه ، فهي توجد في حاصل عقولهم جميعا "[١]

والثاني : النظر إلى اللغة باعتبارها " قدرة ذهنية مكتسبة ممثلة في إنسان تتكون من رموز اعتباطية منطوقة أو مفهومة يتواصل بها أفراد مجتمع ما "[٢] ، إذن مفهوم اللغة كما ترى هو الذي أفضى إلى حصول بعض مظاهر التعارض والتدافع في قضية العلاقة بين اللغة والفكر ، فاللغة في نظر بعض المنظرين نظام ، وعند آخرين رموز وأصوات ودلالات ، وأن كل من يتبنى أحد المفهومين يقف في العلاقة بين مفهومه وبين التفكير موقفاً مغايراً للفهم الآخر للغة وهذا هو الذي يفسر ما ستسمعه بعد ذلك من تخالف بل ربما تدافع في فهم علاقة التأثر والتأثير والأسبقية .

ستسمع حتماً من يقول : " إن خلفية النظام اللغوي لأي لغة ليس مجرد وسيلة لإعادة إنتاج الأفكار ، ولكن الصحيح أنه هو الذي يشكل الأفكار، والبرنامج الموجه لنشاط الفرد الذهني لكل ما يتعلق بتحليل الانطباعات وطرح التصورات والأفكار اليومية ، وأن صياغة وبناء الأفكار العقلانية لا تعتبر إجراءات مستقلة بل هي جزء من النظام اللغوي "[٣].

فلي روف كما هو واضح من النص السابق يخضع التفكير للغة بمفهوم النظام وهذا عكس ما يراه (ويبستر) حيث يرى أن " فهم الحقيقة

---

(١) مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان / ٤٠ .

(٢) مقال للدكتور : فؤاد أحمد إبراهيم منشور على الشبكة العنكبوتية بعنوان (ماهي علاقة اللغة بالتفكير) .

(٣) كلام لي ورف منشور في غير ما مقال على الشبكة العنكبوتية ، انظر مثلاً مقال بعنوان : اللغة وأثرها في توجيه وتقييد الفكر البشري للدكتور : سالم موسى / ٣

البعيدة المنال وصحة التفكير يكمن في فهم دلالة المفردة "[١] ، وقد بنى سابير نظريته على" أن اللغة بما تحوي من مفردات ومن نماذج ورموز ليس فقط يسهل عملية توجيه الفكر بل تتحكم في طريقة التفكير "[٢].

ولا يخفى أن رأي سابير وكلام ويستر يتفقان مع لي ورف في أن التفكير خاضع للغة ، ولكن أهم ما يجب أن نلحظه هنا ما سبق أن أشرت إليه وأنه هو الذي يمكن أن يفسر اختلاف اللسانيين وغيرهم في هذه المسألة وهو : (مفهوم اللغة) فهو كما ترى متباين متخالف فإذا كان ورف يستعمل اللغة بمعنى النظام المتشكل في العقل الجمعي ، يرى سابير أن اللغة التي ينسب إليها التأثر هي الرموز والإشارات ، وههنا يجب أن تدرك أن ما كان قبل قليل اتفاقاً في أن اللغة ذات تأثير على الفكر ، تحول الآن إلى خلاف ، وخلاف كبير إذ هما مختلفان في مفهوم (اللغة) التي ينسبون إليها التأثير والأسبقية !!.

ويظهر أثر هذا الأمر حين تقرأ قول أحدهم : " بدون اللغة لا يمكن للإنسان التعبير عن أفكاره "[٣] ، وهنا يحصل التخالف وربما التناقض في فهم مثل هذا الكلام الذي جاء في صورة مبهمة فلم يفسر فيه المراد من (اللغة) فيصير الأمر إلى ماذكرت لك ... وعلى أيّ جرى تفسير مصطلح (اللغة) فأنت لن تعدم أن تجد من يصادر تلك التصورات السابقة بكليتها ويذهب بها برمتها حين تسمع قول القائل : " والتفكير سابق على اللغة ،

---

(١) اللغة وأثرها في توجيه وتقييد الفكر البشري للدكتور : سالم موسى / ٣.

(٢) السابق .

(٣) مقال منشور على الشبكة العنكبوتية عنوانه (التفكير اللغوي العقل والكلام والقراءة) الكاتب : زين سليم ، مدونة موضوع .

فكثيراً ما تنبثق الفكرة في أذهاننا ونبقى نبحث عن العبارات التي تؤديها وتنقلها "[١].

وهذا كما ترى مفهوم معاند تماماً للمفهومين السابقين المتعاندين أصلاً وإن جمعهما بعض اتفاق ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد من التشعب والتفاسح الفكري لأن بعض العلماء يذهب في التوفيق بين هذين المسلكين أو تلك المسالك ، إلى اعتقاد أن اللغة والتفكير شيء واحد غير مستقلين ؛ إذ التفكير : " نوع من الحديث الذاتي الضمني ، فعندما يفكر الفرد غالباً ما يتحدث إلى نفسه ، وبذلك هو يؤكد مقولة : نحن نفكر بأجسامنا "[٢] ، إذن فالمعنى اللغوي والمعطى الفكري متحدان " إلى درجة التداخل والتلازم بل إلى درجة التماهي المطلق "[٣].

وههنا يجب أن أقول الكلمة التي سبق أن ألمعت إليها وأنها سبيل توفيق بين تلك الرؤى المتصارعة أحياناً والمتصادمة أحياناً أخرى ، أقول : إن التفريق بين معاني (اللغة) في كل من النصوص السابقة هو الذي يجعل ما يبدو تخالفاً تآلفاً ، وما يبين تعارضاً تقارضاً . ذلك أن اعتقاد مفهوم اللغة بمعنى النظام الموجود في عقل الجماعة اللغوية والمتكون من التئام العقل الجمعي لمجتمع ما هو الذي يتحكم في توجيه تفكير تلك الجماعة وتحفيزه وتحريكه إزاء المواقف والمشكلات المختلفة ، وهذا النظام عندنا في العربية وذلك المفهوم للغة لا يتحصل إلا من مجموع العقل المجتمعي ، ولذلك يسوغ أن يضيع على الفرد من تلك الجماعة شيء من تلك اللغة لكنه لا يمكن أن يضيع من مجموع عقول الجماعة دفعة واحدة ، وقد أبان عن هذه الفكرة

(١) مقال . فؤاد إبراهيم السابق .
(٢) انظر مقال على الشبكة العنكبوتية بعنوان (التفكير)، إبراهيم أينوشوكاتي .
(٣) مقال . فؤاد أحمد إبراهيم ، السابق .

الإمام الجليل الشافعي أعظم بيان فقال : " وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها ، لا يذهب منه شيء عليها ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه إلا من نقلها عنها ، ولا يشترك فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها ، وإنما صار غيرهم من غير أهله بتركه ، فإذا صار إليه صار من أهله "[١] ، وهذا النص لا يحسُن أبداً بمن نظر فيه أن يغفل منه فقرة أو يجتزء منه بعبارة فكل جزء منه لا يكمل إلا بمجموع أجزاء النص ، وهي حالة فريدة من حالات التجلي البياني لا تراها إلا عند الإمام الشافعي رضي الله عنه وأمثاله، وما مضى أمر وأمر آخر هو أن هذه اللغة التي مفهومها النظام قد تدرك من وجه آخر وطريق ثان لكن ليس هذا بملك أحد من الناس إلا أن يكون نبياً مرسلاً ذكره الشافعي ، وهو حقيق ، فإن الله وحده القادر أن يهب عبداً من عباده القدرة على الإطاحة باللغة لأجل الإبانة والوقيع عنه جل وعلا وهم الأنبياء والمرسلون ، وذان المسلكان هما محل تحصيل اللغة النظام لا غير ، الأول في ملك الناس والآخر إقدار من الله وتمكين لمن شاء من عباده من النبيين لأن الله كما حمل الناس على ملة ذلك النبي حملهم أيضاً على لسانه فكان لسانه عندهم أجمعين ولسانهم عنده أجمع ، فتأمل . قال الشافعي : " لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي "[٢].

فأما اللغة التي هي : جملة الرموز اللغوية والتصويتات الكلامية المصورة فيما يعرف (بالكلام) فعلاقتها بالتفكير عكس علاقة الأولى إذ يجب للتصحيح كونها رموزاً لمرموز إليه ، ودالاً منبئاً عن مدلول أن يسبقها

(١) الرسالة / ٤٤ ، وانظر أيضاً الاعتصام للشاطبي ٣ / ٢٦٠ .
(٢) الرسالة / ٤٢ ، والاعتصام ٣ / ٢٥٩ .

تفكير ، ويتحكم فيها تدبير ، ومن هنا فالتفكير ما قبل اللغوي هو اللغة الصامتة والعقل ، يليها تمثيل تلك التصورات الفكرية والانفعالات الداخلية والمفاهيم وتجسيدها لتنتقل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ولتبرز للآذان والعيان على هيئة وحدات كلامية متتابعة تحمل مراد المتكلم وتحقق تواصله مع غيره فتحصل المصالح وتلبى الحاجات ، وهو عينه ما سبق إليه أحد أكبر نحارير العربية أبو الفتح بن جني حين قال : " حدُّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[١] ، فوظيفة اللغة المنطوقة أو المكتوبة المعبر عنها بالكلام إنما هي نقل الفكر والتصور والمفهوم من عالم الخفاء إلى الظهور ، ومن الغيب إلى الشهادة حال اصطدام العقل بالمواقف والأحداث المتنوعة .

ومن هنا برز لي أمر مشروعية النظر والتأمل والاستنكاه والاستكناه لطريقة تفكير ربانية اللغة واساطينها من خلال اللغة التي نقلوا بها تصوراتهم تجاه موقف أو حدث .

إن الوعاء اللغوي من أصدق بل هو أصدق وعاء أنت ناظر فيه إلى حركة العقل ونمط التفكير ليتسنى لك تصور أحوال الجماعة اللغوية ، وماهم عليه من الوفور والتمكن والاطراد والسلامة في جميع المجالات وشتى الميادين أو عكس ذلك من الخمول والشك والريب وضعف اليقين..، وقد كان الشيخ ابن خلدون يستدل بوفور علم المعاني وتمكنه لدى المشارقة[٢] لما كان لهم من فضل في العمران والعصبية بأشكالها على أهل المغرب ، وأن هذا الفن عندهم أنهض وهم فيه أبرع لأنهم واجهوا به مواقف وأحداث

(١) الخصائص ١ / ٣٤ .
(٢) انظر : مقدمته / ٥٥٢ .

وصور وأشكال أخرجه مخرجاً لا ينقاس به غيره عند جماعة لغوية أخرى في قطر آخر .

وبمثل هذا النظر أو على قريب منه أقمت هذا البحث الذي جعلت قطب رحاه ، ومدار قمقمه على : تفهم وتفرس كيفية تفكيرهم في اللغة نفسها عن طريقها ، وكيف فكروا في انتاج منجز لغوي تجاه موقف ما من خلال اللغة نفسها وما احتشد فيها صوتا وبنية وتركيبا ودلالة فكان كالدليل على ما كمن منها في هيئة عقل وتفكير ، وكيف وظفوا اللغة في التفكير في اللغة ذاتها باعتبارها أحد المواقف والمشكلات . بمعنى أوضح .

وبتعبير أوضح كيف استعملوا اللغة الصائتة في تصوير اللغة الصامتة؟ كيف مكنوا الصوت من رسم حدود العقل ؟ يجلي ذلك أنك تقول : فكّر باللغة في اللغة ، بمعنى : فكر مستعيناً باللغة البارزة ليتوصل إلى حقيقة اللغة الخفية الصامتة ، وقد كان الدكتور طه حسين أحد أوضح من نبه إلى هذه الإمكانية من المعاصرين حين قال : " نحن نشعر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر ، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير "[١] ثم أوضح أن التفكير لا يمكن أن يحصل أو يتم " في الهواء ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه التي نقدّرها ونديرها في رؤوسنا ...فنحن نفكر باللغة "[٢].

ويحاول هذا البحث أن يزيد هذه النظرة تأصيلاً ويوليها توثيقاً يقوم على التفكير في اللغة باللغة وسميته (ثنائية الانزواء والتجلي، تأملات في علاقة المنجز اللغوي بالعقل)

(١) مستقبل الثقافة في مصر / ١٨٨ .
(٢) السابق .

المبحث الأول:

كيف نفهم التفكير اللغوي (البواعث والقيمة)

للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نتراءى ونتحرى الباعث الداعي إلى التفكير في اللغة (الصوت) للوصول إلى القصد والأصل والمراد أي (العقل) اللغة الصامتة .

ولعل أهم باعث يغذي هذه الفكرة ويحفز إليها الرغبة في تحقيق أعلى درجات الفاعلية وأجود الممكنات الدلالية للنص مسموعاً أو مقروءاً ومن ثم الوقوف على نمط التفكير ووجه الحكمة اللذين تخلّق هذا النص في ضوئهما، وحتى صار هذا النص تماماً معادلاً لفكرة الأثر الذي استُدل به على المسير ، والبعرة التي تنم عن البعير ، فكما تصورنا الرحلة والضعائن والأكوار والقوم والجلبة والحداء بمجرد رؤية وقع خف على فلاة وسمعنا الرغاء وتخيلنا القوة وكابدنا الصبر والشدة وحاولنا المال والثراء والنجاة والنار والغارة والظفر ... بمجرد أن رأينا بعرة ملقاة .. معان لا تقع تحت حصر ولا يدركها لب ويبقى الشأن أن هذا الدليل لابد أن يوصل إلى مدلول وهذه العلة حتماً مفضية لمعلول ، وهذه الغائية النفعية قانون كل لغة تحقق في وصفها أنها لغة .

والعلم بتلك الدقائق ومحاولة استنطاق تلك الصوامت وإحياء تلك الأصوات لتتكلم عن عقل من فطرها شأن له ما بعده وقد كان مدباً عزيزاً ومسلكاً فريداً لحذاق علماء العربية وكما طبقوه في تعاملهم مع اللغة النص وعايشوه ، نظَّروا له أيضاً وجسدوه وصوروه؛ ليظل منهجا كل من جاء بعدهم ،فهذا السيد الشريف الجرجاني كان " يقيس الفكرة على البذرة

ويقول: إن هذه النواة فيها شجرة وإن هذه الفكرة التائهة فيها كتاب كبير"[١]، والأمر قد سبق إليه العرب بوفور فطرهم ، وكمال فطنهم حين قالوا: " في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار "[٢] فكما كمنت النار في زندي المرخ والعفار ، واستخرجت من قدحهما فأضاءت لمن حولها ما حولها كذلك الحال في لسانها يُقدح باطنه بظاهره ومعناه بصوته ليريك أمراً لم تكن لتراه لولا تعمد القدح والمحاولة والكدح ، وأن هذا النوع من التفرس مفض بك إلى أمرين عزيزين ، الأول : متابعة النظر وإدمان التقليب واطراح اليأس من النصوص ، وقعقعة حلقة باب النص ما كان ذلك في الوسع فإن ذلك كان سبيل سلف هذه الأمة من المجدين الذين وصلوا مع النصوص واللغة إلى القرارة وذلك أنك " لا تشفي الغلة ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملا إلى العلم به مفصلا ، وحتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه ، والتغلغل في مكامنه ، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه " [٣].

والثاني : أن هذا النوع من البصيرة وما يعقب من اللذة ليس موقوفاً كما يزعم الزاعم على أهل البيان ودارسي المعاني بل هو شركة بين كل من تعاطى علوم اللسان بجميع فروعها فإنه ملف في فنه الذي هو فيه عين ما ألفاه عبدالقاهر في دلائله وقبله الشافعي في رسالته ، وبينهما سيبويه في كتابه ، ذلك أن أصول النظر الصحيحة شركة بين تلك العلوم ولذلك فإنا " إذا

---

(١) انظر كلام الشريف الجرجاني في مقدمة كتاب مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني للدكتور محمد أبو موسى / ٤ .

(٢) انظر : مجمع الأمثال للميداني .

(٣) دلائل الإعجاز / ٢٦٠ .

نظرنا إلى اللغة من حيث نسيج بنائها وأحوال صوغها وجدنا هذا النسيج وهذه الأحوال وهذا النظام في جوهره طبائع الأقوام ، وأحوالهم الروحية والنفسية ، وطرائق تصورهم للحقائق ، وإبانتهم عنها ، أي : هي القوم من حيث هم ناطقون ، وهذا جوهرهم ، فلو أردنا أن نسائل قواعد النحو في لغة ما عن طبائع أهل هذه اللغة ونسيج نفوسهم الداخلي الذي هو جوهر ما يتميزون به لأبان النحو عن كثير من أحوال أصحاب هذه اللغة "[١].

قلت : وهذا ويمن الله حقٌ ما أغزر شواهده وأكثر عوائده على من نظر في إرثنا النحوي محبا ولا تعد –لتصدق – ما قيل في بناءهم الماضي على الفتح تخفيفاً ، وإلزامهم الفاعل الضمة والمفاعيل الفتحة عدلاً وقسطا ، واستعمالهم المثنى والجمع ترشيداً واقتصادا ، وحذف الفاعل وترك علامته على أول الفعل المبني للمفعول تأنسياً وتوريثا بعد أن مات بالحذف فاعله ، وغادر الوجود صاحبه ، وكيف اعتقدوا نصب (الأسد الأسد) و (ناقة الله وسقياها) و (الكلاب على البقر) بفعل غائب فكان في ظهور أثره وبروز عمله واستسلام معموله له دليل على أن من منطلاقات عقولهم ومرتكزات فطرهم (يؤمنون بالغيب) .

وكيف حرصوا على انضباط سلائقهم بإسكان كل فعل ماض أسند لضمير رفع متحرك من نحو (ذهبت)، ليوافق جبلة فطروا عليها ونحيزة انحازوا إليها في أن الكلمة أو ما هو كالكلمة لا يصير في تتابع متحركاته إلى أكثر من ثلاثة ، وإنه إن وقع ما يمكن أن يكون خرقاً لهذا كما لو قيل : ذَهَبَ (تُ) لانجمع في ملفوظهم ما تحاموه ، ووقع في بيانهم ما حرموه ،

(١) الإعجاز البلاغي ، الدكتور محمد أبو موسى

فتراهم لذلك أبداً مجمعون على إسكان آخر الفعل لئلا ينشعب ذوقهم ، ويفسد إجماع عقولهم قبل ألسنتهم ... وأشباه ذلك كثير مما لـــو أردت أن أجمعـــه لشق علي وزاد ، على أن هذا البحث سيحفل في مواضع قادمة تُسفر عـــن هذا التجلي البياني الفريد بإذن الله .

المبحث الثاني:

العقل مستودع التفكير اللغوي :

ليس من غرض هذا البحث أن يجلي قضية الخلاف في حقيقة العقل أهو في الدماغ أو القلب ، أو أنه متردد بينهما فقد كُفيت هذا البحث الطويل أنا وغيري منذ أمد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١] ، إنما الذي يعنيني أمره ههنا أن الناظر في العربية ومن جعلها قصده وصرف إليها سدمه ، وعقد عندها حبوته رجل قد استتمت يقظته تجاه هذا اللسان الشريف وفضائله فأوجب له هذا الأمر دوام الفكرة فيه ، وهذه الفكرة كما عرفها الحذاق : " تحديق القلب أو قل العقل إلى جهة المطلوب التماساً له بكثرة التفتيش عليه والانقطاع إليه " [٢] ، وهذا المنزع هو الذي ملأ منه السلف عيابهم ، ونفعهم غاية النفع وما عابهم ، وتخفف منه اللاحقون وأغفله طلبة علوم العربية نحواً وصرفاً فجعل ذلك الأمر ينمو ويغلظ ويجد وينشط حتى عاد حجازاً بين النحو والإبداع وبين التصريف والامتاع ، وأنا ههنا أتكلم عن الدرس النحوي في صورته التقليديه ، كما أن كلامي هذا لا يصادر المحاولات الجادة والنظرات الفردية التي لا تفتأ تظهر لكنها تظل دون المأمول والمطلوب لكثرة سيطرة قراءة المتون وشرحها بما في حواشيها دون زيادة بل ربما بنقصان ، ولقد عانى هذا الأمر الدرس البلاغي أيضا كما نعاه عبدالقاهر على جماعة تعلقوا منه بالظواهر ، وتحسس المواثل لا غير، دون تفكير وإعمال ، أو روية وإقبال ، وليس سبب ذلك " إلا الإخلاد إلى

---

(١) انظر ذلك في : مجموع الفتاوى ٩ / ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٢) على حدّ عبارة ابن القيم كما في مدارج السالكين / ١١٧ .

الهوينا وترك النظر ، وغطاء ألقي على عيون أقوام "[١] ، ولست أريد بهذه الورقة أكثر مما قصده الشيخ عبدالقاهر من أنه لا يجب بل لايصح أن يوقف بالنحو وسائر علوم اللغة عند حدود حفظ الحدود ، والاكتفاء بالمسطور والموجود دون تعنية خاطر ، وكد عقل وإعمال فكر ، ولو أن كل أحد تعلق بالعلم ألزم نفسه السؤال واعتنى ب(لماذا) و(كيف).. ، لجاءت جواباته بنصوص أخرى كثيرة موازية لذلك النص الذي يدرسه أو العلم الذي يتعلمه، ولنمت العلوم وتغازت الفهوم وتلاقحت الحلوم حتى تكون في الذروة والغارب من الكمال ، والأمر في هذا مثل القانون الذي لا يتخلف ولو في أبسط الأمور وأكثرها عفوية ... نظرت يوماً بعين الروية في مسألة لا تعلق لها بالعربية إلا من مكان بعيد لكن بلغ بي متابعة الفكرة إلى محال أحسب أنها حسنة لو تؤملت ، فقد رأيت في بلادنا إذا أنت سافرت إلى نجد مثلاً رأيت أنعامهم سوداً إبلاً وغنما ، بينما نجد نعم أهل الحجاز بيضاً وحمراً وصفراً ، وتأملته بعين البصيرة فإذا هو عين التدبير وقرأت فيه بلسان الحال قوله عز وجل { ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى } [٢] ، تلك البهائم مستأنسات بخلاف الوحش منها كالضباء ونحوها ، فالوحش يكون بلون الأرض أو الجبل ليمكّن من التخفي ، فسر بقائها وجوهر حياتها التمويه والاختفاء وتوافق اللون بالأرض، وهذه البهائم المستأنسة سر بقائها وسلامتها في الانكشاف والظهور ، ولما كانت نجد أرضاً بيضاء كان نعمها سوداً ليتمكن الجامل والمؤبل وصاحب الغنم أن يتبع غنمه وإبله وأن يراها فيحرسها ، ويجمعها فيحرزها ؛لأن سلامتها في أن ترى بخلاف وحش

---

(١) دلائل الإعجاز / ٤١٥ .

(٢) طه / ٥٠ .

تلك الديار فسلامتها في أن تُمترى وحرزها في انطباق لونها مع الطبيعة فلا ترى. فأما الحجاز فحرة سوداء وجبل قاتم فناسب في لون نعمه البياض وما اتضح من الألوان و ناسب في لون وحشه وصيده ، عكس ذلك ليحصل لكل نوع حفظ وبقاء ، سلامة واتقاء ، فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى.

أعود لأقول هذا الشأن مع سذاجته وبعده ربما عما أنا بصدده لكنه داعية تأمل وجالبة تفكر كيف لو أعطينا للعقول القويمة والألباب المستقيمة هذا الخلوص مع اللغة من خلال وجهها الظاهر وسمتها البارز الصوت والكلمة والتركيب ماذا سنصل إليه من عظيم الغنائم ولطيف المشاهد .

لم يكن العقل يوماً مناطاً للتكليف ووعاء للمعرفة حتى يعطل ويكتفى بالظاهرة الصوتية وترديد ما كان وليس بالإمكان ... كيف يعطل موضع تلاقى أعظم منتجات البشر ومؤهلاتها؟!! المؤهل الفكري بالمنتج اللغوي ليحصل بعد ذلك الكلام ، وتتحقق المقاصد ، ويصيب كل ذي غرض غرضه ، وذلك من طريق الحواس التي تصله بالعالم الخارجي ، يقول الله تعالى : {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون }[1]، فانظر كيف أن العلم المستودع في العقول سواء أكان محلها القلوب أم الأدمغة لا يتم له أمره ولا يستقيم قصده إلا بالحواس ، ومباشرتها للأشياء وأن أجل تلك الوسائل وأولها السمع ومن ثم صح أن يقال : " السمع أبو الملكات اللسانية "[2] ، ولعل من صالح الأمر وشريفه وإن كان فيه بعض استعجال أن نفكر في هذه الآية محل الشاهد من باب أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يصح ، ومن باب تطبيق اللفظ

(١) النحل / ٧٨ .
(٢) مقدمة ابن خلدون / ٥٤٦ .

بالمعنى ، والنظرية بالممارسة وعدتنا في ذلك مكوّن هذا البحث الأساس وهو : استعمال اللغة في فهم اللغة ، كشف لغة اللغة ، معرفة كيف تعبر اللغة عن نفسها وصوتها عن نظامها فأقول : أفرد الله السمع وقدمه ، فدُلّ بالعدد والرتبة اللفظية – وهما معطيان لغويان نحويان صرفان – على أوليته من بين سائر وسائل الإدراك لبناء المعرفة ، وذلك بالتقديم وبيّن أنه الأصل لما سواه وذلك بالإفراد !! ألا ترى كيف أنه حين ذكر باقي الوسائل وهما قسيماه الأبصار والأفئدة جمعهما ؟! وليس ذلك إلا لبيان أنهما فرعان عنه آتيان في الرتبة بعده وإن فاقاه أو أحدهما أهمية ، فالسياق هنا ليس سياق أولوية وإنما سياق أولية ، وكما أن الواحد قبل المجموع وأصل له فكذلك ههنا ، فلله الأمر والعجب أقول ، وهذا الآية أيها المستبصرإ نما هي حديث عن أحدنا عقيب ولادته ، وحال صغره ، أفلا ترى كيف جعل الشارع الحكيم أول ما يصل إلى المولود إذا هو استقبل هذه الحياة إنما هو حدث كلامي أذان في أذن وإقامة في أخرى ، وإلا –وتنبه – فإن الأمر منعكس تماماً ومختلف رأسا في حال المكلفين ممن قامت عليهم الحجة وظهرت لهم المحجة .ولترى ذلك أحكم قبضتك واصرف همتك إلى قوله تعالى وهو يذكر عاقبة المكذبين بعد أن جاءهم الحق : " فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ، أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور "[1] تُلفِ الأمر ههنا عكس ما مضى تماماً ، حتى جعل الأول هناك آخر هنا ، والآخر هناك أولاً هنا لأن الخطاب هنا لمكلف قد اكتسب المعارف وجاءه النذير ولكنه أخلد إلى الأرض

(١) الحج ٤٥ – ٤٦ .

واتبع هواه فخر عليه الأمر من فوقه فبدأ الانتكاسة من عقله وانتهت إلى سمعه !!، ثم تأمل أن مثل هذا النوع والصنف من الناس الذي لا يحسن الاستخلاف فيما استرعاه الله فيه وأودعه إياه من العقل والفكر ، كيف يكون وبالاً لا على نفسه فحسب بل على القرى والمجتمعات والحياة الإنسانية بعامة ، فبه وبغيّه تعطل البئر ويستوحش القصر ويلتوي الأمر.. ، ومن هنا تعيّن أن يؤخذ على عقل كل من رام غير الهدى في الملة واللغة والحياة والمجتمع ؛لأن عاقبة أمره لن تقع عليه وحده بل هو أمر عام خطير ، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً "[1] ، وهذا الحديث أعجوبة في بابه مبنىً ومعنىً ويهمني جداً أن أرقى بك إلى مراقي سموه اللغوي رصفه وسبكه لنصل إلى خفاياه وكوامنه ، والعقل الذي قد بناه عقل من لا ينطق عن الهوى ،فإنه في هذا البحث نص لا ظاهر ولا فحوى ، وذلك أنك لو أعدت قراءة هذا الحديث وأمسكت بألفاظه وحاولت مقاصده ستجد أن مما يستحق التوقف قوله عليه السلام : " مروا على من فوقهم " فإنه قد وقع في هذا السياق حذف كثير نثير بثير لم يذكره المصطفى عليه السلام ، وطواه في الكلام طيا ،والحذف أحد أعجب مقدرات اللسان من حيث أن اللغة أصوات والحذف معاند ذلك تماما فهو ترك أصوات ومع ذلك تعجب كيف تخذت اللغة من ترك اللغة أبرع لغة!! وإلا فالقوم قبل أن يقولوا (لو

(١) صحيح البخاري برقم / ٢٤٩٣ .

خرقنا) كان قد وقع منهم حديث بل أحاديث كثيرة فيها جدل وخلاف وشجار فإنهم حين يمرون يؤذون من فوقهم ، ومن فوقهم يقول : آذيتمونا ، أفسدتم سكوننا ، أيقظتم النائم واتسخ المكان واقتحمتم الحريات وأشغلتم وأكثرتم وكان أولئك الصاعدون يقولون : لا حيلة عندنا ولا بد لنا ..، وحتى ربما نجم خلاف واستحر قتال ... كل ذلك لم يذكر منه شيء البتة ، وطوي تماماً واستعيض عن (ثم) التي كان ظاهر السياق يقتضيها ويدعو إليها فكان يقال : إذا استقوا مروا على من فوقهم ثم قالوا :لو خرقنا ... لكن استعيض عنها ب (الفاء) " فقالوا : لو خرقنا ... " وهنا تكمن الغرابة فـ(ثم) أحق بذلك الموضع لحصوله متراخياً على مهلة ولكن (الفاء) أخذت موضعها وحلت محلها تنبيهاً على عقدة المعنى واندفاعاً إلى أس القضية وانصباباً على مراد الحديث وجوهره وأقنومه وهو " لو خرقنا " فهذا هو الخطر الداهم ، والشر المتفاقم الذي جاء الحديث الشريف ليروع منه ويخوف حصوله .وحصوله وإن تأخر أمده أو تراخى وقته أو حتى بقي مجرد فكرة مؤذن بالنهاية مفسد ما سواه، فكأنه لشدة هوله وفضاعة شأنه وبشاعة عاقبته حالٌّ قريب ، دان مريب ، فلا وقت لتأخر التحذير من هذه الكارثة المبيرة والنازلة الخطيرة فكان لذلك التعقيب هو الوجه وكانت الفاء هي الاختيار!!

ثم تأمل أخرى جملة " ولم نؤذ من فوقنا " تجد فيها وصف كل من يريد خرق سفينة ما !! ففرعون حين أراد خرق السفينة بعناده وكفره وإضلاله قال { ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم ألا سبيل الرشاد } [١] ، وقبله الشيطان الأكبر قال لآدم عليه السلام وزوجه { إني لكما لمن

(١) غافر/ ٢٩ .

الناصحين }[١] ، فمن أراد إغراق سفينة الدين قال : كل يؤخذ من قوله ويرد، وقال : هم رجال ونحن رجال ، ومن همّ أن يخرق سفينة النحو قال: فقد " بلغت الشكوى من النحو العربي مدى أصبح من غير الممكن أن يتجاهل "[٢] وأن " النحاة هنا قد أخطأوا الصواب "[٣] ، وأننا " نرفض نظرية المقابلة لأنها افتراض من النحاة لا مبرر له "[٤] ، وأن " النحاة قد خلطوا بين بناء الصيغة واستعمالها "[٥] وَ " أننا لا نوافق النحاة في نظريتهم القائلة بارتجال الأعلام "[٦].

وبناء على هذا التصور فإن الأمر عندي وعند كل منصف إن شاء الله أن أيّ انزواء وتقهقر فكري ستراه مصوراً مجسداً في صورة انجراف لغوي وانحلال لفظي وسيأتي له شواهد وأمثلة فيما بعد إن شاء الله ، وأن الأمر على العكس في الجانب الإيجابي ، فكل استنارة عقلية وإلهام فكري ستلمسه في صورة منجز لغوي معجب ، وتفرقد لساني مبهر لفظاً ومعنى ، وليس الأمر في الصورة الأولى إلا كنتن جيفة رائحتها عندنا وهي مدفونة في عقل من صدرت عنه يؤذي بها الناس والبلاد والعباد . وأن سناء صاحب الفكر القويم والعقل المستقيم ليس إلا كبدر متلألئ بيننا نوره وفرقده في سماء عقل صاحبه يهدية إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وستأتي له أيضاً الشواهد والأمثلة في المبحث القادم .

---

(١) الأعراف / ٢١ .
(٢) دراسات نقدية في النحو العربي د. عبدالرحمن أيوب من مقدمة الكتاب .
(٣) السابق / ٩ .
(٤) السابق / ١٦ .
(٥) السابق / ٣٦ .
(٦) السابق / ٩١ .

ومن هنا تعيّن على العاقل اللبيب العناية بالعقل أكمل عناية، بل جاء الإسلام بوجوب صونه والتحذير من تعطيله ، وأن من عطله أو عطّل أحد المستقبلات الموصلة إليه من الحواس فكأنما انحط إلى مرتبة الأنعام أو نزل إلى حضيض البهيمية "ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون }[١]، ولعل من أخطر معطلات العقل وأفتكها اتباع الأهواء والاغترار بالأعداء ومجاراة النعقة وتقليد من لا يرضى عنك حتى تتبع ملته {ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم }[٢] ، {حسداً من عند أنفسهم }[٣] ، ولو كان الأمر إليهم لحبسوا ما ينزل من عند الله من البركات والهدى والعلم والنور ليحملوا المغتر بهم خاصة على ماخرج من عندهم من الشهوات والشبهات .

واعلم بعد ذلك علم اليقين أن العقل آلة خلقت لتؤدي عملها فإنك لن تراه يقف أبداً عن عمله الذي هو التفكير لأنه مخلوق هذه مهمته ولهذا – وانتبه انتبه فإنه من صميم ما يريد هذا البحث توكيده وتوطيده –فقد جاء الحديث عن العقل وعمله الذي هو التفكير جاءا في القرآن الكريم ضربة لازم بصيغة الفعل لاغير وهذا لعمر الله أعلى نمط أنت ملف فيها انسجام اللغة مع الرشد والحق وهذا من روائع الوحي الذي هو الحق كله أوله

(١) الأعراف / ١٧٩
(٢) البقرة / ١٠٥ .
(٣) البقرة / ١٠٩ .

وآخره ووجه ذلك متع الله بك أن الغرض من التفكير كما قال صاحب اللسان " التأمل وإعمال الخاطر في الشيء "[١].

قلت : والتفعّل صيغة لا يمكن أن تؤدي المعنى الذي لا حركة فيه ولا استمرار ولا حدوث ، إذ هي معان أخلق ما يكون في إيجادها القالب (الفعلي) فجاء كل ذلك في القرآن على هذه الصفة فجاء " يتفكرون – تتفكرون – يعقلون – تعقلون – أولم يتفكروا ... "[٢] إيذاناً ببدء حركة هذا المخلوق (العقل) حركة لا تعرف التوقف أو الجمود أو التراخي إلا عند من عبث بها أو بمستقبلاتها وناسب ذلك كله التعبير عنه في القرآن بالفعل المتضمن للحدوث والاستمرار التجددي لا الثبوتي المفهوم من الاسم يقول ابن القيم وهو يشرح هذا المعنى الدقيق : " وقد خلق الله تعالى النفس شبيهة بالرحا الدائرة التي لا تسكن ، ولابد لها شيء تطحنه ، فإن وضع فيها حب طحنته ، وإن وضع فيها تراب أو حصا طحنته ، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحا ، ولا تبقى تلك الرحا معطلة قط ، بل لابد لها من شيء يوضع فيها ، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً فينفع به نفسه وغيره ، وأكثرهم يطحن رملاً وحصاً وتبناً ، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه "[٣]

ولما كان العقل ملازماً للفكرة مداوماً عليها كان لابد من الاعتناء بما يستودع فيه من محفزات التفكير وبواعثه فإنك إن داومت على إشرابه

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة فكر .

(٢) وردت صيغة تتفكرون في القرآن ٣ مرات ، ويتفكرون ١١ مرة ، ويعقلون ٢٢ مرة ، وتعقلون ٢٤ ، وأولم يتفكروا مرتين .

(٣) الفوائد / ١٧٤ .

اليقين والنافع والصالح أعقبك ذلك خيراً كثيراً ، وإن حصل العكس وجعلت مادة عقلك ومسرحه ومبرحه الشبه والنقائض والشك في لسانك وعلوم أمتك فأبشر بشر حصاد أن حاصده وأسوء عتاد أنت جامعه .

ومن هنا أعود لأذكر بما ذكرت آنفاً من أن كل انزواء عقلي وانحراف فكري عن الجوادّ المشروعة المأذون بها مستلزم لا محالة انحرافاً لغوياً طرف حبله بين أيدينا ونهايته في عقل منشئه وليس المنجز اللفظي إلا صورة بعدية لما يجري في الذهن ، ولهذا تعين أن أجعل المبحث القادم في اثبات هذا الأمر ونقيضه بإذن الله .

المبحث الثالث :

نماذج وشواهد على تأثر المنجز اللغوي بالعقل :

يجري تصور هذا الامر في مطلبين:

الأول : انكساف العقل وانزواؤه تحت تأثير ما فينتج عنه منجز لغوي منحرف .

الثاني : استنارة العقل وتوهجه بسبب مؤثر ما فينتج عنه انجاز لغوي مشرق ، وسيكون الحديث عن القسم الأول أخذاً بتوجيه أحد مستنيري العقول أبي فراس الحمداني القائل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه[١]

وليس ما قاله أبو فراس إلا بعض نور قبسه من كلام الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ، أخرج البخاري في صحيحه أن سيدنا حذيفة كان يقول : " كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني "[٢].

ولا شك أن المنتج اللغوي الذي يطرق الآذان وتمذل به الألسن ليس إلا نتاج فكر صاحبه وأنه يصطبغ به حتى إنك لتقول إذا كنت ممن يدرك النسج ويتكشف السمات الوراثية للكلام إن هذا الحديث لفلان وإن هذا الكلام لعلان ، وهو حدّ من الفهم وطبقة من الحذق أعلى ما يكون شأواً

(١) انظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، للثعالبي ١ / ٨٤ .
(٢) صحيح مسلم برقم ١٨٤٧ .

وأنجح ما يكون غاية لا يقف بصاحبه الأمر أن يقول هذا كلام صدر من عقل مستنير أو عقل فاتر خادر ، بل يصل إلى حد النسبة لذلك الكلام ومعرفة منبعه ومنابت أصول الشجر الذي رواه ذلك النبع ولقد أحرز علماؤنا لا سيما أهل الحديث من ذلك القدح المعلى رضي الله عنهم ، فقد كان من سبل حكمهم على الحديث تفرس ألفاظه ومتنه وذوقها بألسنة الفهم والبصيرة لينكشف لهم من بعد أن هذا حديث عليه خاتم النبوة ، أو كلام مدخول مفتقد مسكة الوحي وإشراقة الحق ، وهذا المسلك الدقيق ، المغرز العزيز رأيته عند أمنا عائشة رضي الله عنها حين قالت تصف ابنة خير خلق الله عليه الصلاة والسلام ، تصف فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها تقول : " ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة "[١] ، ولم تقل ما سمعت حتى لا يظن أن المراد فقط نغمته وجرسه ونبرته ، وإنما قالت (ما رأيت) واتخذت من الرؤيا العلمية أي التي بمعنى ما (علمت) سلّم يقين تصل به رضي الله عنها إلى أن المراد الشبه المعنوي إلى جانب اللفظي والعقلي الفكري إلى جانب البياني .

أقبل ذو الرمة يوماً على الفرزدق وكلاهما الجبل الأشم والطود الأضخم وأسمعه قوله :

نبت عيناك عن طلل بحزوى عفته الريح وامتنح القطارا[٢]

حتى بلغ قوله :

يعد الناسبون إلى تميم بيوت المجد أربعة كباراً

---

(١) انظر : سنن أبي داوود برقم / ٥٢١٧ .

(٢) الديوان ٢ / ١٣٧ .

وذكر بعده بيتين ، فقال الفرزدق- وهو محل الشاهد -: " جيد ، أعده، فأعاده ، فقال : كلا والله لقد علكهن من هو أشد لحيين منك ، هذا شعر ابن المراغة "[١] يريد جريراً .فلله هو ناقدا بصيرا حتى لقد وقع في نفسي أنه سمعه بأذن عقله وأبصره بعين قلبه اقتدارا وشدة عارضة!!

وقد حفلت كتب نقد الشعر بأخبار تؤكد أن هؤلاء العلية وأولئكم لجلة من العلماء قد أصابوا قول الأول :

وإني لذو ميسم يلوح على صعود هذا الكلام أو صببه[٢]

أصابوه غنيمة واسترفدوه منهجاً ، ولست والله أدري أكان أبو تمام قد أخذه من فعل علمائنا فنحته شعراً أو أخذه العلماء من بعده من كلامه فذللوه مسلكاً[٣] ، وبأي كان الأخذ فالفكرة أن للكلام طابع ينم وغلاة تشف عن عقل من أبدع وفكر من وضع وأن ذلك الأمر يحصل على الوجهين الجيد والرديء .

ولنبدأ من ذلك بالجانب السلبي .

١- **المطلب الأول** : شواهد تأثر المنجز اللغوي بالعقل سلباً (الانزواء اللغوي):

لعل أقدم ما يمكن أن نلمسه من شواهد هذا المسلك قول إبليس حين أمره الله بالسجود فأبى وقال : { أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من

(١) العمدة في محاسن الشعر ، لابن رشيق ٢ / ١٠٨١ .
(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه ١ / ٢٢٥ .
(٣) انظر هذا المسلك من النقد في كتاب الموشح للمرزباني / ٢٢٣ ، والعمدة ٢ / ١٠٨٠ وما بعدها .

طين }[١] ، وقوله عقب أن طرد من الجنة واستحق غضب الرب جل في علاه يموه على أبينا آدم وزوجه مستعملاً سلاح اللغة الأخطر ليخرجهما مما كانا فيه من النعيم { ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى }[٢] فكانت هاتان الحكايتان عن إبليس أول فتنة لغوية سمعتها البشرية في فجر ميلادها ،من مخلوق موتور يحمل حقدا لا يدركه أمد على آدم وذريته استعمل فيها اللغة ، لا أنها البداية بل هي نهاية تصوير عقل إبليس وترجمان ما كان يجنه من سوء وخبث ومكر وكبر وحقد دفين، إفلا تراه كيف استعمل في الآية الأولى (أفعل التفضيل) (أنا خير منه) كذباً وزوراً وبهتاناً فإن الطين على التحقيق خير من النار ، وآدم خير من ملء الدنيا من إبليس ، لماذا ؟ لأن آدم حين أذنب استغفر وأناب واعترف وآب { ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين }[٣] ، وإبليس حين أذنب وامتنع عن السجود حاج ربه بالقدر فكان ذلك أول قول بالقدرأنا مخلوق من نار قدراً ، وهو من طين قدراً ، والنار خير من الطين ، فكذّب وزوّر وشمخ وتكبر ، وأهبطت فتنته للناس فجاءت القدرية وظهر الكذب ونجم الزور كل ذلك والكبر الذي هو أشد وأعظم مانع القي في الأرض والنفوس بسبب إبليس فحجب العقول عن العلم ، ومنع النفوس من الحق ، وأقرأ إن شئت : { علم الإنسان ما لم يعلم كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى }[٤] ، نعم إن الإنسان ليتجاوز حده وينسى نفسه ويضل ويردى أن رأى نفسه قد

---

(١) ص / ٧٦ .
(٢) طه / ١٢٠ .
(٣) الأعراف / ٢٣ .
(٤) العلق / ٦ – ٧ .

استغنى ، فكان من ثمرة هذا العقل الزقوم أن جاء من يقول " العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله تعالى في القدر "[١] ... نعوذ بالله من الخذلان .

ومن شواهد التأثر بالعقل السلبي حتى بدا أثره على اللغة صوتاً ومفردة وتركيباً : انحراف الخوارج في صدر هذه الأمة بحادثة لا زال ترمي خالفهم بما وقع لسالفهم من فساد عقلي استتبعه فساد لغوي عريض فحين ظن كبيرهم الذي علمهم الخروج ذو الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير السعدي التميمي أنه أفهم للحق وأعرف بالعدل وما يكون وما لا يكون ممن جاء بالحق وعلم الناس العدل والصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، فاعترض على مقام النبوة ونبا به عقله عن المتابعة وأخذه الكبر حتى قذف به في أتون الاعتراض وخلده في هوة التاريخ ولم نر ذلك عيانا أو نلمسه عنواناً إلا عقب قوله يخاطب نبي الهدى " اتق الله يا محمد " فانحرفت معه اللغة التي كانت أعظم شاهد على أن هذا الرجل كان طيلة سني عمره يودع عقله وتفكيره الفاسد من الفكر ، والمرذول من الرأي فاندفع ذلك على لسانه ، وذرعه على بيانه فقال في حالة غيبوبة فكرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهيبة أتى بها لرسول الله فجعل يقسمها عليه السلام بين الناس بحكمة وتحت عين الوحي ، قال له : " اتق الله يا محمد "[٢] ، فلا فعل لأمر ههنا في محله ، ولا النداء بهذه الفظاظة على بابته ، فخرم هذا الخارجي بهذا الانجراف الفكري بابان في العربية وضعهما في غير ما وضعا له ، وهكذا عمل كل مبطل تراه يتسلح باللغة ويتخذها أداته في حرب

(١) انظر : تفسير ابن القيم ، تفسير الآية ١٢٢ من سورة طه ، وقد نسب هذا القول لابن سينا .

(٢) انظر هذا الخبر في صحيح البخاري برقم ٣٣٤٤ .

خصومه وما علم أن رداه وفضح أمره إنما يكون بها حين يقلبها الناس بعد ذلك تقليب الصيرفي البصير ، فيصلون من هذا الحبل إلى ذلك العقل الذي سيقولون عنه : لقد امتلأ فساداً وكبراً وعنجهية وإلا فكيف يأمر الأدنى الأعلى ؟! وكيف ينادى النبي عليه السلام بالاسم المجرد عن التشريف ؟! وإن كان اسمه عليه السلام شريفاً لكن حتى ربه عز وجل حين يذكر اسمه يقول جل في علاه { محمد رسول الله }[١] ، { وما محمد إلا رسول }[٢] ، أفيسوغ بعد ذلك لدنع من الناس أن يقول (محمد) بلا أدب أو احتشام ؟! مجرداً من النعوت والإكرام ؟!

ومن أشد هذا الارتكاس العقلي التي يظهر في هيئة منجز لغوي يشف عن عقل منشئه ، وفكر موجده ، بدعة الجهمية وهي أشد بدعة قيل بها في الإسلام تنسب إلى (الجهم بن صفوان) ، وسبحان الله الحكم العدل حين جعل أبويه يسمياه (الجهم) إذ هو من الجهمة بمعنى الظلمة [٣] ، فكان لعقله ، لا أقول من اسمه نصيب ، بل كل النصيب ، فكان مظلم العقل ، مظلم الفكر ، مظلم اللغة ، كانت البدع قبل ظلمة الجهم بن صفوان بدعاً متعلقة بالعبادات وبأفعال الناس فلما جاء الجهم بن صفوان نقل البدعة من عبادة العباد إلى البدعة في رب العباد ، في ذاته وصفاته ، فقال قولته المشهورة "إن الله ليس بموجود ولا معدوم [٤].

---

(١) الفتح / ٢٩ .

(٢) آل عمران / ١٤٤ .

(٣) انظر : لسان العرب – مادة جهم .

(٤) انظر تفاصيل بدعة الجهم بن صفوان في : شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين / ٣٠ وما بعدها .

وهذه المقالة تنخلها شيخ الإسلام ابن تيمية عظم الله أجره وفنـدها ، وأبطل أثرها ودل بها على فساد عقول أصحابها وخلاصة ما وصل إليـه أن هؤلاء القوم أوجبوا لله أن يكون (محالاً) وهي أشد قبحاً مما هربوا منـه التمثيل والتأويل ، وأنكر وأفحش ، وليس من الشأن أن أفصـل فـي هـذا الموقف لأنه قد يكون أخلق بغير هذا البحث الذي في أصله إنما يركز علـى المنجز اللغوي لكن لنا في هذا الموضوع خاصة مزيد عبـرة ، ذلـك أننـي وجدت مثل هذا الحديث يجري في كثير من الدراسات اللغوية المعاصرة حين يتكلم أصحابها عن الدرس اللغوي أو النحوي خاصة فيجد فيه ما يظن أنـه سوءة لا تدفع أو فضيحة لا تستراب فيحاول جاهداً محبة للعربية –إن أحسنا الظن –أن يدفع مثل ذلك الأمر عن النحو أو ينكره أو يذهب إلى بطلان القول به مع أنه قد توارثه الأقوام كابراً عن كابر ، كلهم يتلقاه بالقبول والإجماع ، حتى يأتي هذا الذي جاء والزمان على هرم وزوال فيقول ذاك فاسد وهذا لا يصح فيوقعه حماسه ذلك وموضوعيته كما يظن في أعظـم ممـا تحاشـاه وهرب منه ، ولكن مع ذلك فالمجتهد والمثابر مشكور محمود فعله ، وهـو على أسوأ أحواله خير ممن لا يعمل ولا ينتج ولولا أن الأمر لارباط له بمـا أنا فيه على وجه المباشرة وإلا لقرضت له الأمثال وأيدته بالحجج .

ومما هو شاهد أيضاً على الانحراف العقلي ، والذي يترجمه بعد ذلـك المنجز اللغوي ما ذهب إليه المعتزلة من امتناع رؤيـة الله ، وأن ذلـك لا يصح أن يقال ، بله أن يقبل لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وليس سببه إلا أن عقولهم انتهت بهم إلى قياس أمر الخالق على المخلوق فتوهموا أن القـول بإمكانية الرؤية يقتضي الجهة ، والجهة تقتضي الجسـم ، فيهربـون مـن

التشبيه ليردوا أنفسهم في التعطيل[١] ثم انجرَّ هذا الرأي الكودن والنظر الفاسد إلى اللسان ، وظهر في المنجز اللغوي يتناقل ويروى والتاريخ لا رحم أحداً .

فهذا أحد أكبر أئمتهم جار الله الزمخشري عفا الله عنه ينقل عنه ابن هشام [٢] أنه يقول إن (لن) تقتضي النفي المؤبد ، ونجم عنه أن جعل قوله تعالى { لن تراني }[٣] محمولا على التأبيد والإطلاق ،!! ويكفي في هذا العقل المنزوي أنه اجتهد مع وجود لا أقول نصاً بل نصوصا كثيرة تثبت إمكانية الرؤية بل تعين أمرها لأهل الجنة ثواباً من عند الله وزيادة { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة }[٤] ، وقد ذكر أهل التفسير الذين حققوا وفهموا معنى التجلي البياني قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[٥] فقالوا : الحسنى الجنة ، ولا يمكن أن يكون بعد الجنة زيادة إلا أن تكون رؤية الله جلّ اسمه [٦] ، والعجب أن مثل هذه الشبهة تفتح على المجتهدين أولي البصائر مغاليق من الحكمة تدل على الطرف الآخر الذي سيتكلم عنه هذا البحث وهو التجلي البياني للعقل ، ألا ترى كيف أبطل العلماء هذا القول حتى مع استحكام الشبهة فيه فقد استدل له الزمخشري بقوله تعالى { لن يخلقوا ذباباً }، وهذا التأبيد في هذا الموضع وإن كان محل تسليم عند جميع المؤمنين لكن آية (لن تراني) ليست مثلها ، ولهذا

---

(١) انظر في تفصيل هذا الأمر : شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ ابن عثيمين ٢٨٤ – ٢٠٩ .
(٢) أوضح المسلك ٤ / ١٣٦ .
(٣) الأعراف / ١٤٣ .
(٤) القيامة ٢٢ – ٢٣ .
(٥) يونس ٣٦ .
(٦) انظر : تفسير الآية ٣٦ من سورة يونس في تفسير الطبري والماوردي وغيرهما .

فاقتضاء (لن) للتأبيد وارد لكن لا يكون ضربة لازب ، ولا على كل حال ، ولا في كل نص . وقد جمع الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد رحمه الله لباب الرد على الزمخشري في هذه المسألة بما لا محل معه لزيادة [١].

وأخيراً وهو في موضوعنا نصٌّ مبنى ومعنى مما يدل على أن الانحراف العقلي يستتبع لا محالة انزياحاً لغوياً خطيراً مسألة الجر على المجاورة في الدرس النحوي فإن أصل هذه المسألة ومنبع مائها إنما هو في الأصل انحراف عقلي فكري برز في أول الأمر على صورة ظاهرة أو ظواهر اجتماعية ثم على هيئة مخرجات بيانية لغوية ، ولا محل أصلاً لفصل اللغة عن المجتمع انحرافاً أو امتيازاً فهي ترجمانه ورسوله إلى الآخر ، فمن المعلوم أن للجر في اللسان العربي أربع وسائل ، ثلاث منها قياس متبع وهي الجر بالحرف والإضافة والتبعية ، بهذا الترتيب في مدونات القوم ، وهو تجلي بياني واضح راجح استخرجوه من قوله عز اسمه { بسم الله الرحمن الرحيم } ، فقد حوت آية البسملة الأقسام الثلاثة ودلت على تراتبها بتقديم ما هو أصل وما هو محمول عليه وما هو محمول عليهما ... تلكم الأنواع بوِّب لها واستشهد عليها وامتلأت بها مدونات القوم وببارع تفصيلاتها ... ولكن بقي قسم رابع وهو (جر على المجاورة)[٢] لا يعرضون له ولا يلمون به نوع من الجر الغاشم الذي لا يلوي على عقل صحيح ولا تصور مستقيم ،وإن ذكره بعضهم بادر بذكر شذوذه واستنكاره، نعم قد يكون في التعبير به ما يوافق انكسار الشاعر أو اضطراب الناشر

---

(١) انظر حاشيته على الأوضح ٤ / ١٣٦ .

(٢) انظر مذاهب العلماء فيه انكاراً وإثباتاً في همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٤ / ٣٠٤ وما بعدها .

لكنه يبقى وإن استدل به على حالة شعورية ما أمراً دالاً على حصول عوج بوجه ما فما اللغة إلا دليل .

ولله در النحويين كيف أدركوا سوءته وتحاموا غدرته ، فحطوا المسألة عن أخواتها ، وانزلوها عن مرتبة صويحباتها ، وجعلوا ذلك كله سماعاً يحفظ وبقايا تحنط ، وأبقوها عدلاً منهم فهم سدنة اللغة ، وكلأة الباب ، وحماة الجناب ، لم يسكتوا عنه مطلقاً فليسوا ممن يكتم العلم حاشاهم ولكن أبقوه ضمن مقتنيات المتحف اللغوي الكبير (السماع) ينظر إليه فيه ويقلب الطرف في نواحيه ، وليست بعد ذلك شيء ، فلا قياس ولا مساس ، وليس ذلك إذا أنت فاتشته وقلبت أسبابه راجعاً إلا إلى أن هذا الجر في أصل نسخته العقلية وممارسته المجتمعية منبثق من خلق غشوم وضرب ظلوم ، إذن فجر المجاورة قبل أن يكون لغة كان ثقافة وخلقاً اجتماعيا وإن تضاءل وانخسف عند العرب فإن كرمهم ونقاء معادنهم أرحب وأنبل من أن يؤثر فيها هذا التراجع والانكسار ،ولكنه كان موجودا وعلى كل فالضد يظهر حسنه الضد و " خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا "[١]، نجد هذا النوع من العقل في قول الأول :

إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

قال الميداني : " كانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشرب لكدر الماء أو أنه لا عطش بها ضربوا الثور ليقتحم البقر الماء ... يضرب في عقوبة الإنسان بذنب غيره "[٢].

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٨٣ وصحيح مسلم برقم / ٢٣٧٨ .
(٢) مجمع الأمثال ٣ / ٢٣ .

ونجده مرة ثانية في قول أعرابي خبره مسطور في معاجم العربية أشد من سابقه حرجاً وأكثر منه عوجاً قال :

قد يؤخذ الجار بظلم الجار [١]

وهما كما ترى فكرتان وعقلان ظالمان فلا ضرب الثور لتشرب البقر هو الوجه ، ولا قتل الجار وإزهاقه إذا لم تقدر على الخصم الذي هو محل العقوبة هو الوجه فليس لهذا المغدور به ذنب إلا أنه جاور مذنباً ،!! أقول ليست هاتان الفكرتان إلا محض الوزر ومجمع النكر ، ومع ذلك تسرب منها على حين غفلة إلى اللسان نمط غريب وضرب مريب حتى التوى الأمر فقيل: هذا حجر ضبٍ خرب [٢]، وحتى قيل : كبير أناس في بجادٍ مزملٍ[٣].

فإذا حاولت أن تحرز سبب جر (خرب) و (مزمل) أعيتك الحيلة وبارت بك الوسيلة فإنه لا جار موجود لا ظاهر ولا مقدر ، وأنك لن تجد له محلاً حتى تراه الثور المضروب باطلا والجار المقتول غدرا، فأخذ الجار بظلم الجار ، ونكل بالثور ولكنه هذه المرة على هيئة لفظ " خربٍ وَ مزملٍ " ... غير أن عقول النحويين التي نشأت على استقامة ونبراس فإنهم في الأصل قوم أعينوا على حفظ هذا اللسان ليحفظ به القرآن ، وهو من روائع التجلي المنهجي اللغوي التي كان القوم على ذكر منه مما هو مناهض تماماً لقتل الجار ، وضرب الثور المظلوم فقد كان من أجلّ أدبياتهم " وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره "[٤] ،

(١) انظر البيت وخبره في لسان العرب مادة حتر
(٢) انظر : شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٢٨ .
(٣) البيت من معلقته المشهورة .
(٤) صحيح مسلم برقم / ٢٥٦٣ .

فهل تراه بعد ذلك يقتله أو يأخذه بجريرة غيره ، ولهذا أخرج النحاة هذا القسم من الجر عن النحو المبوب حداً ووقفوا به على السماع لا غير صرامة وجداً ، فكأن ذلك نفي له ، وتغريب لصورته وحسم لمادته إلا لمضطر من القوم المعتبر لسانهم لا من جاء بعدهم فيكون بمثابة الميتة والخمرة لا جواز لهما في الإسلام إلا لمضطر فإن عاين الشاعر منهم الهلاك اللغوي أخذ من ذلك الشاذ حاجته فقط ، ولم يكرع الخمرة إلى الثمالة ، ولا الميتة إلى العصب ، وإنما بقدر ما يعيد إليه أنفاس المطرد فيؤوب إليه مقبلاً طرباً أفاد من الرخصة وحافظ على الأصول فذلكم الطريق طريق النحويين حين لم يبقوا لهذا النمط من الجر إلا روايته أسطورة ، وتناقله أحفورة ، والحمد لله رب العالمين .

وقد طال بنا الحديث عن هذه الانكسارات ومناطق الهبوط اللغوي المقامة على أنقاض عقل مشوه ، فلنتن العنان عنه ولننطلق للجانب المشرق والغصن المورق والجزء الممتلئ من الكوب كما يقال ، ولكن يجب أن أختم بملحوظة هي أن على القارئ الكريم أن ينتبه إلى أن الانكسار اللغوي أمر نسبي ، هذا وجه ، ووجه آخر هو أنه يجب التفريق بين سياقات الانكسار ، فلا شك أن ما يمس منها العقائد والدين وذات الله هي أخطرها على الإطلاق ، وأما ما له علقة باللغة وبالمعاني الإنسانية فالأمر فيها أهون وأخف ، وأرجو أن لا يفهم من وصمي بعض خروجات العرب في كلامهم مما يقال عنه شاذ ونادر أنه مرفوض بتة ، فليس هذا غرض البحث إنما الغرض التنبيه إلى أن خلف التركيب المشرق عقلا كذلك ، وأن ما هو دون ذلك وراءه فكر كذلك ، وأن هذا النزول والهبوط العقلي ربما كان متعمداً مقصوداً عناه صاحبه كما عنى صاحب العقل المشرق تلك الفكرة المشرقة ،

وهذا فهم مهم لأنه يمكن بالملابسات ومقتضيات الأحوال لأن يسلمنا الأمر أن نقول كما قال الأول :

حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن [١]

وهذا كله من روعة هذا اللسان واستطالة أمره وعلو كعبه، غير أن كل خروج ومخالفة مهما وقف وراءها من مبرر وحسنها من محسن لنا أن نحكم عليها أنها خلاف الأصل ، أو أنها شاذة ، أو أنها دون الأفصح ، مما هو في حقيقة وصف لحالة وتحديد لدالة لا أنه ذم ونيل وتنقص واطراح ، ولكنه بيان حق وتحري صدق وليس الظل كالحرور ، ولا المطّرد كالمنفرد، وهذا عين ما أريد فاهمه متع الله بك .

(١) شطر بيت للشاعر اللبناني إبراهيم المنذر في ديوانه على الشبكة العنكبوتية موقع ديوان .

المطلب الثاني :

شواهد تأثر المنجز اللغوي بالعقل إيجاباً (التجلي البياني) .

وهذا المطلب يمكن رصده في مرتبتين :

الأولى : التجلي البياني في الموروث اللغوي المعتبر ، والنصوص الشريفة المقدمة ، وهذا القسم أوسع من أن يدرك ولكني سأكتفي منه بأمثلة دالة على المقصود .

الثانية : التجلي البياني في الموروث اللغوي مما ظاهره الانكسار وباطنه التجلي ، وهو قسم لطيف المأخذ ، دقيق المسلك .

١- المرتبة الأولى :نماذج من التجلي البياني الموروث اللغوي في النصوص الشريفة :

ومن ذلك ما جاء في التنزيل العزيز ، قال تعالى يخاطب نبيه ويحثه على أن يجلس مع الذين يذكرونه ويوحدونه ولو لم يكونوا من أصحاب الوجاهات وأولي المقامات وألا يجاوزهم إلى سواهم أو يغادرهم إلى غيرهم فقال الله لنبيه : { ولا تعد عيناك عنهم }[١] ، وهذه الآية آية في فكرة التجلي والاتقاد البياني كيف لا وهي بعض مما قال عنه جلّ اسمه { وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين }[٢].

---

(١) الكهف / ٢٨ .

(٢) الشعراء / ١٩٢ – ١٩٥ .

أربعة أركان ضمت العظمة والهيمنة المطلقة الله في علاه ثم الروح الأمين ، ثم قلب خير المرسلين ، ثم بيان لسان العرب المكين ، وخلاصة مشاهد الحكمة في هذه الآية أن الناظر فيها وفق معطيات النحو يدرك أن الفعل (تعدو) بمعنى (تتجاوز) فعل متعدٍّ لا لازم يقال عداه ويعدوه وعدوناكم ... ، وجاء في الآية بصيغة المضارع المجزوم بـ(لا) الطلبية ، وفاعله (عيناك) ، ومفعوله لم يذكر وطوي ، والفعل نفسه قصر عن طلبه وزوى ،حتى لم يعقبه بعد فاعله إلا قوله (عنهم) فكأنه نقله من التعدي إلى اللزوم ، ومن المجاوزة إلى الوقوف مع أن أصل وجوده اللغوي لو كان في غير التنزيل (ولا تعدهم عيناك) ولكن لأمر أراده الله يوافق سبب نزول هذه الآية ، ذلك أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب إليه كفار قريش أن يجلس معهم وحده دون أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود ... فنهاه الله عن ذلك [١] ، وأمره بالجلوس إلى أصحابه وأن لا يتعداهم ولا يجاوزهم فكان أول مستجيب لهذا الأمر ، وممتثل له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللغة ، وما أدراك ما اللغة : كان الفعل في جوهر معناه ، وصوص مبناه متعدياً ناصباً للمفعول به فصار دفعةً لازماً وآل قاصراً استجابة وامتثالاً للسياق ، ولمراد رب الأرباب فإنه سياق انحباس على هؤلاء الصحابة الأجلاء ، وأمر بعدم مفارقته لهم ، وأنه امتناع عن أعدائهم ومبغضيهم من كفار قريش ، فلله ما أعظمه من جبر لخواطر المؤمنين وإعلاء لحملة الملة وحماة الدين ، ولما ينته العجب بعد فإن الآية الشريفة حملت فائقاً آخر ومنظراً أزهر حين تحول الأمر عن رسول الهدى إلى عينيه الشريفتين !! فلم يعد المصطفى عليه السلام هو

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٣ / ١٠٩ .

المأمور بل تعدى إلى أمر عينيه ألا تنظر في سوى الأصحاب فكان ذلك أعظم وأدخل في وجوب الانقطاع إلى المؤمنين وصبر النفس مع المحسنين، وأن لا يغادر هؤلاء الأتقياء الأنقياء إلى سواهم ولا بالعين والبصر فكيف بالأجسام والصور ، فكان هذا ثاني تحقيق لمعنى القصر وتوطين لمفهوم اللزوم بعد قصر الفعل حتى صيّر كأنه بمنزلة (لا تنصرف) !! فلله الأمر كله وله الحكمة البالغة سبحانه ، ثم ما ألطف هذا اللسان المستجيب والبيان الطائع حين صور ذلك الأمر الرباني بوجه خرج فيه عما كان ينبغي إلى ما ينبغي !! فامتثل الرسول عليه السلام ودان اللسان بكل احترام ، وقالت الأمة بلسان الحال سمعنا وأطعنا ... وتوهج الكون كله بهذه الحكمة الإلهية والمنحة الربانية فلله الحمد رب العالمين .

وقد يقول قائل : إن هذا الذي تذكره من تصور الجماليات في هذا النص الشريف قد ذهب فيه غيرك ممن هم أثبت جناناً وأشد إحكاماً لصنعة الإعراب ومعالجة الكلام غير ماتذكر فأبو حيان [١] ينص على أن الفعل متعد باق على أصله وأن مفعوله محذوف والزمخشري[٢] يرى أن الفعل ضمن معنى الفعل اللازم ..فأقول : إن مما يجب دركه ههنا وفي كل مسألة موازية مماثلة أن الاختلاف في التوجيه والاعتلال ومظان الحكمة ليس اختلافاً في الأصول والقوانين فلم أقل مثلاً الجملة ليست فعلية فأخالفهم في أصل ، ولم أقل والفعل هنا لا مفعول له لأنه أصبح لازماً حقيقة ، وإنما غاية ما أريد أن أقول إن هذه المصانعة والتلطف في طلب وجه الحكمة أمر محمود ، وما أذكره ليس إلا من باب تجويز حكم لا إيجابة وسواء قلنا بحذف المفعول أو

(١) انظر : البحر المحيط ٧ / ١٦٦ .
(٢) السابق .

تركه مطلقاً أو بالتضمين فكل ذلك نمط من المعالجة وضرب من الإعمال لا يقدح في الأصول أو يذهب بالقوانين بل لم أخرج عن مضمون ما قالوه قطعاً، وشعاري وشعار كل باحث عن الحكمة قول النحرير الجهبذ أبي الفتح ابن جني " فمن فرق له عن علة صحيحة وطريق نهجه فهو خليل نفسه فكره وأبا عمرو فكره "[١] ، وقد ثقفت عن شيخنا أ.د سليمان العايد قوله : إن من مهمات العلم التفريق بين ما يسوغ فيه الخلاف وما لا يسوغ فمما يسوغ الحكمة والعلة ومما يمتنع الأصول والقوانيين .

ومن شواهد هذا التوهج البياني والبناء اللغوي في كلام النبوة أيضا قوله عليه الصلاة والسلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٢] ، وهذا الحديث أصل عند أهل السنة في رد وذم البدعة والابتداع والمبتدع ، وقد تتبعت شروح هذا الحديث فألفيتها كلها تدور على تفسير معنى (ردٌّ) بأن (فَعْل) مصدر بمعنى (مفعول)[٣] ، وأن معنى الحديث هو :من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو مردود ،فيكون بذلك وصفا في المعنى للعمل ،أي: فذلك العمل مردود ثم جعلت أجيل النظر فيه وأديره على فصوص التدبر ، وأري نفسي أن فيه حكمة بالغة ولفتة كامنة تحتاج إلى استظهار لأن الحديث بهذا الوجه لا يوحي إلا بذم العمل المبتدع دون أن يكون على المبتدع بكسر الدال أدنى تثريب مع أنه جاء في حديث آخر : "ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من

(١) انظر : البحر المحيط ٧ / ١٦٦ .
(٢) صحيح البخاري / ٢٦٩٨ ومسلم / ١٧١٨ .
(٣) انظر مثلاً : جامع العلوم والحكم ، لابن رجب / ١٧٥ .

آثامهم شيئاً "[١]، فقوى في نفسي أن أفصح من نطق بالضاد عليه السلام حتماً اختار من جملة ممكنات لسانه كلمة هي أدل على الذم المطلق للبدعة والمبتدع على السواء وأن هذه اللفظة ليست إلا (رَدٌّ) وأن قصر معناها على (مردود) فيكون المصدر بمعنى اسم المفعول لا غير ترجيح يحتمل ترجحاً مثله يقوى به المعنى ويصير الحديث نسخة معنوية من حيث من دعا إلى ضلالة الذي جمع بين ذم الضلالة والمضل بها الناس ، فقلت : لم لا يكون (فَعْل) هنا بمعنى المفعول وهو ما صرح به العلماء ، ويكون أيضاً بمعنى ال(فاعل) ، فيصير المعنى : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رادٌّ ، أي لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهنا يعظم معنى الحديث وتزداد ثمرة ويعم لفظه ذم المبتدع الراد للأمر وذم الأمر المردود ، والعربية لا تمنع هذا الوجه ولا تدفعه ، فكما قالوا : إن (فَعل) المصدر يكون بمعنى اسم المفعول (مردود) فإن مجيء المصدر بمعنى (الفاعل) ليس بأقل حظاً من رسيلة ، ودونك ما يشيع في كتب النحو لا سيما في المصطلحات وترجمات الأبواب فقد قالوا : باب التمييز ، فالمصدر التفعيل هنا معناه الفاعل ويراد المميّز بكسر ماقبل آخره ، وباب التوكيد معناه المؤكِّد ، وباب النعت معناه الناعت ، وكل ذلك من إطلاق المصدر مراداً به الفاعل ، بل كثر ذلك الوجه وفشا في باب (الحال) فوقعت مصدراً بكثرة[٢] وهي في ذلك كله على تأويلها باسم الفاعل فيما يقبل ذلك على أظهر الأقوال [٣] كقولهم : طله زيدٌ بغتة ، أي : مباغتاً ، والأمر أكثر من أن يدخل

---

(١) صحيح مسلم / ٢٦٧٤ .

(٢) انظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢ / ٩ .

(٣) السابق .

في حصر، وإنما قلت فيما يقبل ذلك احترازا مما يتعين فيه تأويل الحال المصدر بالمفعول كقولهم : قتل زيد صبرا أي مصبورا ، وإذا ثبت ذلك وكانت اللغة تحتمله ،والسياق يقبله بل يدعو إليه ، فما المانع من أقول به ، وإنك بهذا الفهم والاستنطاق لترى امتياز كلام الصادر عن البصيرة والعقل الكاملين الذين لا يدانيهما عقل بشر ولا بصيرته ، أوليس كلامه عليه السلام (الحكمة) وثاني الوحيين؟!!

إن اصطفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم التعبير بالمصدر (ردٌّ) نابع من أعمق تفكير وأهدى سبيل في استنطاق اللغة باللغة ، وهذا الذي عمله النبي صلى الله عليه وسلم كان هو وأمثاله من ينابيع الحكمة أحد أوجه النظر التي كان يرجع إليها العلماء في استنبات الكليات وبناء المعرفة، فهذا أبو الفتح ابن جني يؤسس لباب في الخصائص ترجم له بقوله: " باب في اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه ، أيجازان جميعاً أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه "[١] ، ثم أعقبه بالجواب فقال : "اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهباً ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مراداً وقولاً "[٢] ، قلت : فكيف إذا كان بين الأول والثاني التكافؤ والتعادل فلا شك أنهما والحالة هذه رسيلان بأيهما أخذت أصبت والوجه الأكمل الجمع بينهما ... إن هذا التكييف والتكثيف اللغوي للصيغة والبنية اللغوية عمل لا أقول تبيحه اللغة بل تسعى إليه جاهدة وتطلبه حثيثاً بناء على أن عقل الواضع أو المستعمل يدعو إلى تصور كل الممكنات التي لا تعارض في الجمع بينهما فإنه مدعاة ألا تنقضي العجائب وأن يبقى النص

(١) الخصائص ٢ / ٤٩٠ .
(٢) السابق .

حياً نابضاً بصنوف من الاحتمالات التي يؤكد بعضها على بعض ويطد بعضها بعضاً .

ومن أجل شواهد هذا التجلي والسمو حادثة وقعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمنت نصين شريفين ووحيين كريمين ذلك أنه أنزل على رسول الله قوله تعالى : { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون }[١] ، فشق ذلك على الصحابة الكرام فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأينا لا يظلم نفسه " فقال : إنه ليس كما تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم "[٢].

وجعلت أعيد النظر في هذه الآية وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاوره، وأحاول الفكر وأصاوله حتى انقدح إلي فيما أزعم مصباح ،وانفلق لي منه إصباح كان مبدؤه أني جعلت أسأل نفسي : لم أحال رسول الله أصحابه الكرام في حمل معنى الظلم على الشرك إلى آية :إن الشرك لظلم عظيم ؟ لم انصرف رسول الله عن النص إلى الظاهر وعن المباشر إلى غير المباشر ؟ لم لا يكون الظلم على أصل بابه ، أو يكون على غير بابه فيكون له معان أخرى ؟ فالحسد ظلم ، والعقوق ظلم ، والسرقة ظلم ، وقطع الطريق ظلم ... ، لم كان الظلم الشرك لا غير ؟ والله يقول { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون } ، لم لم يحل المصطفى أصحابه من معاني الظلم إلا على : " إن الشرك لظلم ؟؟ والجواب أن قوله :" ، " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " ، وحيٌّ وحق ،وأن أحق من يفهم الحق من

(١) الأنعام ٨٢ .

(٢) انظر تفسير الطبري الآية ٨٢ سورة الأنعام .

نزل عليه الحق ومن علمه " شديد القوى ذو مرة فاستوى " إن أقدر الخلق طرّاً على فهم مراد ربه هذا النبي الذي أكمل له الله كل شيء وأكمل فيه كل شيء ، ولكننا في حاجة إلى أن نتعرف على الوجهة التي سلكها المصطفى لتحقيق هذا التفسير وسنصل في النهاية إلى أنه علمه ربه ، نعم لكن من المشروع أن نبحث من أين وقع ذلك العلم ، وهذا التجلي في فهم النص الذي هو ذاته قمة السمو والتجلي ، ولقد ظهر لي والله أعلم وأحكم وأعوذ بالله أن أقول على الله بغير علم أن هذا حديث من (النحو النبوي) وهو من خاص خاص النحو وأنفعه إن صح لي التعبير ؛وإنما كان من أنفعه لأن الفكر النحوي الذي فيه والفكرة النحوية قطعا ليس مما أفاده النحو العربي من النحو اليوناني أو من غيره فما أبعد رسول الله عن تلكم الفرية !!وهذه ثمرة في غاية من الطيب عليا أعود فأقول : إن تركيب آية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ...) إذا أنت طبت له وأرهفت عقلك فيه وجمعت تفكيرك إليه بان لك أنه تركيب منبثق من كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) حتى كأنها هي مع تقديم وتأخير ، وعلماء العقيدة يصرحون بأن معنى (لا إله إلا الله) قائم على ركنين ،وأن " التوحيد لا يتم إلا بركنين هما الإثبات والنفي "[١] ، وقد سبرت ذلك في التنزيل فوجده سرا ينتظم أغلب إن لم يكن كل الآيات المعلنة للتوحيد ، فتأتي آيات تقرير التوحيد وإثباته في قالبي النفي والإثبات، ولو لم تحمل ألفاظ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وذلك من نحو قوله تعالى : { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً "[٢] ، { اعبدوا الله واجتنبوا

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ ابن عثيمين ١ / ٢٩ .
(٢) النساء / ٣٦ .

الطاغوت }[١] ، (فاعبدوا الله) إثبات (ولا تشركوا) نهي وهو شبيه النفي، فإن قيل كلامك منتقض بالفعل (اجتنبوا) فهو أمر وجاء معه أمر وكلاهما إثبات،قيل في جوابه هو أيضاً نفي ولو لم يصرح به ألا ترى أنه في قوة ولا تعبدوا الطاغوت ؟!وهذا الذي يسميه النحويون النفي المعنوي وهو باب عظيم من العلم مسهو عنه فكأنه قيل: اعبدوا الله ولا تعبدوا الطاغوت ، وهذا الأمر عينه مقرر في بطون أمهات دواوين النحو حين قالوا : إن النفي السابق في أسلوب الاستثناء قد يكون صريحاً كما لو قيل : ما جاء أحد إلا زيدٌ ، وقد يكون معنوياً كما لو قيل : عاف تغير إلا النوئ والوتد .

" فحمل تغيّر على لم يبق على حاله لأنهما بمعنى "[٢]

وبهذا السبر والتدسس والتلطف والتلمس تجد أن معنى الأمر بالتوحيد ونبذ الإشراك مرتكز على اجتماع هذين الركنين ، وحين نزل على رسول الله عليه الصلاة والسلام (الذين آمنوا) تأملها الصادق المصدوق فإذا هو إثبات للإيمان ثم لما شفع بقوله تعالى (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) إذا هو النفي الذي هو الركن الثاني في تقرير معنى التوحيد ، فكأنه قيل : آمنوا ولم يشركوا ، فإذا هو في مقابل واعبدوا الله ولا تشركوا ، وإذا الجميع في مضمون (لا إله إلا الله) من هنا صدر حكم النبوة الكريم أن الظلم في الآية إنما هو الشرك لانصبابه في سياق معهود ونمط مشهود ، فأخرج لنا عليه الصلاة والسلام بهذا القياس تفسيراً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو وحي حقيق وقول وثيق ، فما أروع هذا التفسير وما أضربه

(١) النحل / ٣٦ .

(٢) أوضح المسالك ٢ / ٢٢٤ – ٢٢٥ .

وأدخله في أعماق ودواخل الفكر القويم ، وهل هناك أقوم من التوحيد ؟ {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } [١] ، أسأل الله أن يهدينا للتي هي أقوم .

٢-المرتبة الثانية : نماذج من التجلي البياني في الموروث اللغوي مما ظاهره الانكسار وباطنه التجلي :

وهذا القسم يدفع إليه ويغري به ويحث عليه ما يعتقد للعرب من الحكمة والقدرة والمكانة في ضروب القول وتصرفات البيان، وأنه ليس من اليسير ولا من المقبول أن يجعل كل ما قالوه مما يخالف أو يناهض ظاهر صناعة أو مألوف معنى أنه مما لا خلاق له ولا له وجه يأويه ، وقد كان علماؤنا يصرحون ويأسبون لهذه الفكرة وأن الريث والأناة هي الوجه الذي يجب أن يتخذ في التعامل مع النصوص التي اعتصمت من الزمان بعصام ولاذت من البداوة والعروبة بأقوى زمام فإن سبيل ذلك هو الاحترام والبحث له عن ما يكشف سبب انخساف بعض أجزاءه وانكتام بعض نواحيه فلربما كانت ثمة المزية وهناك تقبع عين الروية إذ قد" تكون المصلحة تارة في الإلباس وتارة في البيان "[٢] ، وكذلك فإن " التعريض والتورية أنضل بالمجادل وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفلّ شوكته بالهوينا "[٣] ، ومما رأيته من الكلام الحر المعتبر المنزل هذه المنزلة قول الفرزدق يهجو جريراً وقومه :

إذا قيل أي الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع[٤]

(١) الإسراء / ٩ .
(٢) شرح اللمع في النحو ، للواسطي الضرير / ١٢٢
(٣) الكشاف للزمخشري ٣ / ٥٨١ .
(٤) الديوان ٢ / ٧٣ .

فهذا البيت مما لا خلاف في شذوذه ذلك أنه جر (كليب) بحرف جر محذوف لا حظ له في القلة بله الكثرة وقد قال أبو حيان عن هذا البيت نصّاً " ولا خلاف في شذوذ أشارت كليب "[١] ، فلأجل حكاية الإجماع على القول بشذوذه ، ولأن حذف الحرف وإبقاء عمله كما هو مخالف للمسموع خالف للقياس أيضا ذلك أن الحرف شديد الصلة بمدخوله لا سيما حرف الجر حتى كأنه كالجزء منه وحذفه مناف لهذا الاعتبار [٢] ، والحرف فرع في العمل فلا يعمل إلا مذكوراً حطا له عن رتبة الفعل الذي يعمل مذكورا ومحذوفا إذ كان أصل العوامل، ولان حذف الحرف مضعف ف لإعماله ؛ لأن الأصل في الحروف الإهمال فكيف بالإعمال مع الحذف [٣] ، ولأن الحروف وضعت اختصاراً أو إيجازاً وحذفها يفيت هذا الغرض ، والعرب لا تنقض أغراضها كما يقول أبو الفتح [٤] ، ولما فيه أيضاً من اختصار للمختصر ، وهذا إجحاف بالكلام وانهاك له [٥] ، وحين أتصدى لمثل هذا البيت بعد تلك الأوصاف السابقة التي تجعله ربما في خانة الارتكاس اللغوي أجد أن الأمر لا تسلمني إليه نفسي ولم انته فيه إلى برد يقين أو قاطع برهان بل يتردد علي وأنا أعرف الفرزدق عن كثب فإنه حفظ ثلث لغة العرب كما قال عنه يونس[٦] ، وليس من السهل أن يوضع البيت في مجموع المسموع الذي لا

---

(١) ارتشاف الضرب ، ٤ / ٢٠٩٢ .

(٢) انظر : سر صناعة الإعراب ، لابن جني ٢ / ١٤٩ ، وشرح المفصل ، لابن يعيش ٤ / ٩٤ .

(٣) انظر : اللباب ، للعكبري ١ / ٤١٩ وشرح المفصل لابن يعيش ٤ / ٩٤ .

(٤) انظر : الخصائص ٣ / ٢٣٤ .

(٥) انظر : المحتسب ، لابن جني ١ / ٥١ .

(٦) انظر : معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ٦ / ٢٧٨٦ .

يقاس عليه وانتهى الأمر ، وقرع أذني الثانية قول الخليل " والشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنا شاؤوا "[١] ، أو ليست إمارة الفرزدق وقيله عن نفسه " فإني كريم المشرقين وشاعره "[٢] ، وشهادة يونس بن حبيب البصري له كفيلان بأن أعيد النظر وأحاول الظفر ؟ الجواب ، بلى ، لا سيما أن البيت (جوه العام) كما يقولون وسياقه الهجاء بين رجلين تكاوح الشر بينهما حتى أنتج ديواناً عظيماً بين أيدي الناس اسمه (النقائض) هما فارساه وفرساه وحلبته ، فكان حقاً عليّ أن أعيد النظر مستصحباً هذا الفلك الذي يدور فيه هذا البيت لا لأخرجه عن شذوذه فهذا ليس بملكي ، ولا هو من شأني وقدرتي ، وإنما لأظهر فيه إشراق عقل صاحبه واكتمال مرة منشئه ، وأن الأمر لا يلزم لكي يوافق جاد الإحسان ومطربة البيان أن يكون في الخير لا غير . بل ربما أحسن المسيء في إساءته بمعنى أحسن بناءها حتى تعود من وجه كأنها الدرع الدلاص فإنه أحسن نسجها وبناء أطرافها أو كقوس مرنة راقب غرضها ورمى بها هدفها ، فأصاب وأدمى ،وظفر وأصمى ... أصمى خصمه وربح الرهان وحقق معنى كونه يهجو ويشتم ويذم ..ولا يصلح أبداً أن تخرج هذا البيت عن بابته هذه التي هي : المماجنة والمعابثة والهجاء ، واطراح الاحتشام لأنك إن فعلت به ذلك تحقق في نفسك شذوذه معنى ومبنى ، فأما إذا أبقيته في سياقه وعاينته في ضوء فكرته علمت يقيناً وانتجعت ثمينا ، وأصبت صيداً ، وأدركت أن تلك المعاني لا يناسبها إلا فعل الشاعر وهو يهزأ ويسخر ويهجو قبيلة جرير وأنه لا إعراب أخلق ولا حركة أليق من الجر والكسرة وحذف العامل ، أوليس هجاء وذماً وتشنيعاً ؟!! وهو

(١) المزهر للسيوطي ٢ / ٤٧١ .
(٢) الديوان ١ / ٤١٦ .

كذلك كسر لبني كليب وجر لما بقي من كرامتهم ، وعدول عن الرفع والانتصاب ، ولو أنه حذف الحرف ورفع أو نصب وهما وجهان جائزان لفوت على نفسه ما انبنى في عقله قبل أن يفوه بالبيت من رغبة في تحطيم جرير من أصوله واقتلاعه من جذوره ، وأنهم أهون على الناس هوان اسمهم على حرف الجر ، فحتى الحرف غادر وذهب ، ولا يزالون في حالة من الانكسار والانجرار وأن جرهم وانكسارهم لم يكن مجرد أثر لعامل أو تحقيقاً لطالب بقدر ماهو نحيزة فطروا عليها وسبّة ولدوا في ركامها فكأنهم من الذلة كما كان يذكر في غزو التتر لبلاد المسلمين لا يجد التتري ما يذبح به فيأمر الأسير أن يمكث مصبورا حتى يعود إليه بمدية فيذبحه !!وغير ذلك من المعاني التي هي في غاية من السوء والسرف وغمط الحق ، وقد أوكل ذلك كله إلى عمل لغوي عجيب وتصرف بياني ذكي مقصود هو حذف حرف الجر وإبقاء عمله !!

فطبق بكلامه وأدائه اللغوي ومنجزه البياني ما كان قد جرى في عقله واحتشد في لبه قبل القول بأزمان فدل بمبناه على معناه ، وبظاهره على باطنه، وذلك أشرف ما يكون في إصابة الغرض وتحقيق الغلب وطرح المنازع، ومع كل ذلك يبقى أنه خلاف الأولى، ودون الأقوى، فاعرف ذلك .

اعرف للمطرد فضله ، واعرف للنادر والشاذ قيمته في سياقه ولا تسوي بينهما إلا على جهة أنهما منتجان يكشفان من العقل ما استتر ومن الباطن ما اختمر ، وهذا متروك لنا معاشر الباحثين وطلاب الحقيقة ، فإذا تم لنا ذلك وجعلنا بإزائه أصولاً مهمة وكليات جليلة تصحح المسلك وتعين على اليقين وقع الفلاح فإنه قد يقال : أوردت بيتاً لأشعر الشعراء وحامل اللواء امرؤ القيس ولم تر فيه الذي كنت رأيته في بيت الفرزدق ، بل لم تر فيه إلا

انكسافاً ولم يرقك منه ماراقك من بيت الفرزدق وليس أحق منه مرتبة ولا هو أعلى منه طبقة ففيم هذا التمييز؟.

قلت : إنما منعني من ذلك أن المخالفتين ليستا على وجه واحد من القبول ولا هما على ضرب مشترك من السلوك ، بل إن بيت امرئ القيس نشأ عنه تاريخ من المجازفات والقول المخالف للأصول وأمور ربما أفقدت النحو مزيته ، وليس هذا محل بسط مثل هذا الأمر فلعله يُخرج البحث عن مساره [١]، ولأن ما ذكرت لك قبل قليل من وجوب معاودة الأصول والكليات التي وضعها العلماء في التعامل مع ما خالف الأكثر فإن مما قالوه " الشاذ إذا كان له وجه جيد "[٢] ، أي : فهو جيد شريطة أن يكون وجهه الذي يصححه قريب مدرك ، ومن نحو قولهم : " وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً "[٣] ، وأن من الأوجه تأثر بعضهم ببعض " فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره ، وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيراً منتشرين وخلقاً عظيماً في أرض الله غير محتجزين ولا متضاغطين فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة بعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته "[٤] ومنها أن عامة " ما يجوز فيه وجهان أو أوجه ينبغي أن يكون جميع ذلك مجوزاً فيه ولا يمنعك قوة القوي

(١) وقد بسطت آثار هذا الأمر في بحث لي بعنوان (النحو والمجتمع ، تخلل في مفهومية التأثر والتأثير) .
(٢) الكتاب ٢ / ١٥٥ .
(٣) السابق ١ / ٣٢ .
(٤) الخصائص ٢ / ١٧- ١٨ .

من إجارة الضعيف أيضاً فإن العرب تفعل ذلك تأنيساً لك بإجازة الوجه الأضعف لتصح به طريقتك ويرحب به خناقك إذا لم تجد وجهاً غيره "[١].

ولعمري لما تشع به هذه النصوص من وفور العقول وسلامة المنقول ورهافة الحس وسلاسة المعالجة لكاف في إثبات أنها إنما انفجرت بها ينابيع حكمة أجراها الله من عقول هؤلاء الجلّة على ألسنتهم لتعود لنا نبراساً وتصير لمثل بنائي وبناء غيري أساساً :

وإني لمن قوم بهم يتقى العدى ورأب الثأي والجانب المتخوف[٢]

ومن نماذج هذا المسلك أيضاً وهو للفرزدق قوله :

إن الرزية لا رزية مثلها لناس مثل محمد ومحمد

" يرثي بها محمد بن يوسف ومحمد بن الحجاج بن يوسف وقد ماتا في جمعه "[٣] ، ولا شك أن ظاهر هذا البيت موفٍ على عوج مقام على عرج، ذلك أنه يخالف عادة محكمة وذوقاً ملتئباً جرى عليه العرب عرفاً وتناقلوه صرفاً وهو أن المسميان أو الثلاثة أو ما زاد إن اتحدت في الاسم آذن ذلك بوجوب تثنيتهما أو جمعها وأنه الوجه المدرك والغرض المؤم في حديثهم فلا تراهم أبداً يقولون : جاء زيد وزيد وزيد ، وأن الذي منع ذلك منهم اندفاعهم إلى ما هو من باب الإيجاز فطرة واختيارهم ما به التقليل رغبة ، وقد أسس على مثل هذا الملحظ في الدراسات اللغوية الحديثة مبدأ لغوي يكاد يكون شركة بين كل اللغات المعتبرة وهو مبدأ الاعتماد على

(١) الخصائص ٣ / ٦٢ .
(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ١٢٢ .
(٣) الديوان ١ / ٢٧٣ .

الجهد الأقل ، وللعرب فيه فضل عناية ومزيد اهتمام ، وليس عندهم باب المثنى والجمع والتصغير وغيرها إلا من باب الأخذ به غير أن الشاعر ههنا حين فصل بالعطف ما حقه التثنية إنما اندفع وراء ما جاش في عقله وانصب غير آبه على ماأشدت إليه حاجته، فالرجل يرثي رجلاً وابنه وهما من علية القوم وسراة الناس الذين يموت بموتهم خلق كثير وكان من مكونات تفكيره ومنطلقات عقله أنه إن أجرى الكلام على المعتاد من الصورة وحمله على المسلوك من الطريقة إنما يكون قد أخفى أحد الرزئين في الآخر، وحذف نصف الفجيعة إذا هو اتبع السنن المعهودة في الكلام ولكنه يأبى ذلك وهو الفحل يعرف كيف يقول فكان في كسره المعتاد وخروجه عن المألوف لساناً آخر يصيح قبل البيت وبعده يقول : لا تظنوا أنه فقد يسير وخطب هين وموت معتاد بل هما مصيبتان كل واحدة على حيالها فاجعة ، وأن المصائب إن كان يرقق بعضها بعضاً فليست هاتان المصيبتان قطعاً من هذا النوع ولا ذلكم الشرج فإن كل واحدة منها تعظم من أمر الأخرى ، وتهوله ، وأن هذا المعنى وذلك العقل لايمكن أن يعيه الناس ويصافح الإحساس حتى يقول في عقله قبل بيته (فقدان مثل محمد ومحمد) فيطنب ويمد التركيب ويبعث الشجن ..فهذا أدعى إلى مضاعفة التوجع ، وتضخيم التفجع وتفخيم النازلة بخلاف ما لو ثنى الاسمين فجاء بهما في صورة كلمة واحدة (محمدان) ،فإن ذلك الذي ذكر سابقا سينهال وسيغدو أثرا بعد عين لو أنه ثنى وهذا إحساس مفرط منه بالمعنى ترجمه باللفظ فأطرب وأعجب ، وأصاب وأطنب ، فكان إطنابه هو الوجه وتطويله محل المزية .

نعم قال بعض النحويين إن هذا مما اختصت به الواو من سائر حروف العطف كما في المغني [١] ، ولكن ذلك الأمر لا يذهب بكونه خلاف الأصل استعير ليكون أدل على الأصل وأوعب للحدث ، وأوقع في الصوت والصورة، فكان هذا البيت " قصة وسيرة حياة والتدسس في ذلك ومعرفته عمل صالح حسن له مذاقه ، وللنفس به غبطة وخاصة إذا كانت الفكرة في بداياتها نفحة إلهام جرى بها لسان له طبع في بناء الكلام ثم كانت نهايتها مسألة علمية داخلة في بناء العلم "[٢] ، فهل كان هذا إلا الذي حصل للفرزدق صاحب اللسان الذي له طبع وحصل لنا أصحاب النفوس التي اغتبطت بهذا الفكر وحصل لابن هشام وغيره من النحاة الذين أسسوا على مثل هذا البيت فكرة اختصاص عطف الاسم على مماثله بالواو دون سائر حروف النسق فكان البيت بردا على قلوب وتأسيس لمطلوب ، وفتحا يعقبه فتح ، والحمد لله رب العالمين

وبعد ، فإن القلم إن أصاب سحاً لم يكف وإن وافق اسماحاً لم يجف ، ويعلم الله أنني أقف عن الكتابة آسفا وأترك اليراع كاسفا فما بقي مما أراه حق القوم على ودينهم عندي أكثر مما بدا ، غير أن الزمان تخوف والخاطر انفثأ والعزم تضعضع وإني لأرجو الله أن يكون فيما كتبت شيئاً يكتب لي عند ربي أجراً ، ويحط عني وزراً ، وأسأله تعالى أن يتجاوز عن طغيان القلم ونزعة البأو وتيه النفس واستقيل واستعتب من ربي أن أكون قد حرفت شيئاً عما أريد به ،أو انحرفت بأمر إلى غير ما قصد له .

---

(١) ٢ / ٣٥٦

(٢) مدخل إلى كتابي عبدالقاهر للدكتور محمد أبو موسى / ٢٢ – ٢٣ .

وقبل أن أنتهي من الحديث وأنزع اليراع عن الصريف أتوج بحثي هذا بما أراه من النتائج والتصورات علها أن تكون بعض فقه تنفع صاحبها وقارئها ، فإن لم تكن فلعلها تحمل إلى فقيه ينفخ فيها روحاً ويدرك بها فتوحاً ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

نتائج البحث وتوصياته :

وقبل أن أختم أيها القارئ الكريم وقد تجشمت معي ما تجشمت ، وتحملت ما تحملت أجد من حقك علي أن أحذيك بطريف ما وصلت إليه وبليغ ما انتهت لديه وأنثرها بين يديك لعلها تعفي آثار الرحلة ، وتذهب بوعثاء السرى ومن ذلك متع الله بك :

١- أن علاقة اللغة بالفكر وما حصل فيها من اختلاف طويل إنما نجم عن الخلط بين مفهوم اللغة التي تعني النظام ، واللغة التي تعني العلامة .

٢- مرتكز البحث على إذكاء فكرة هي أن اللغة إنما هي سبب ورباط طرفه بأيدي المتلقين ونهايته في عقول المنشئين ، وأن سبيل الوصول للعقل واللغة الصامتة التي انتجت اللغة الصائتة إنما هو التفرس في هذا المنجز من جميع جوانبه صوتاً وبنية وتركيباً ودلالة وملابسات حال .

٣- أن الجوس في جنبات المنجز اللغوي بنوع من الروية والتمكن دعوة إلى الانعتاق من الانغلاق ، الاستباق بدل اللحاق ، ولكن بشرط وخاتمة " فمن فرق له عن علة صحيحة وطريقة نهجه فهو خليل نفسه وأباعمرو فكره" ، فلا الانحباس والانغلاق في قيود القديم دون مراجعة واسكناه هو خدمة العلم ولا الانفلات من كل ربقة والانحلال من كل ما يربط بالتراث واللغة وعلومها هو الوجه .

٤- أن التجلي البياني أو الانزواء اللغوي تصور يقوم على محاولة ومحاورة العلة والحكمة والسبب لا على منازعة الأصول والعبث بالقوانيين التي هي محل إجماع وبها قوام العلم وسلامته .

٥- أن أضر وأعتى مانع من الفهم والتلقي ليس الجهل وإنما الكبر .

٦- أن القول بشذوذ المنجز اللغوي أو قلته أو ندرته لا ينفي عنه تحقيق درجات عالية من التجلي البياني وأن سلامة النص وخلوه من النقص ليس بالضرورة أن ترفعه في مراتب الإجادة لمجرد سلامته واطراده .

٧- أن ملاحظة سلوكي الانزواء والتجلي من خلال تحقيق أدواتهما سبيل قويم في التمييز بين النصوص ونقدها واختيار الأنسب منها في التعلم والتعلم على سبيل المثال.

وما مضى نتائج في الاتجاه الخاص وثمة توصيات عامة متعلقة بقضايا تطوير اللغة والتخطيط لها ومن ذلك:

١- أن دراسة اللغة من خلال علاقتها بالفكر مقياس مهم في معرفة مدى ما وصلت إليه الشعوب من تقدم أو تراجع وهو من أصدق المقاييس لمراحل حياة الأمة الواحدة ومراقبة مكانتها وتأثرها وتأثيرها.

٢- الإفادة من مخرجات الدراسات اللغوية التي تراقب جوانب الضعف والقوة في المنجز اللغوي وذلك في بناء مناهج التعليم أو إعداد الاستبانات العلمية والدراسات التي تهدف إلى خدمة المجتمع .

٣- الإفادة من فكرة التجلي ومعرفة جوانب القوة والضعف اللغوي في مجالات التسويق والإعلان وعموم الخطابات الإشهارية ومجالات الخطابة والإقناع والتدريب وتطوير الذات والدراسات الاستشرافية.

وأخيرا فهذا عمل رغبت له الكمال الذي هو في ملك الناس ومكنتهم ، فإن أك وفقت فذلك الفضل من الله له الحمد في الأولى والآخرة وإن تكن الأخرى فحسبي أني ما ادخرت وسعا ولا بخلت بجهد ، وأستغفر الله من الزلل وأعوذ به من الخلل والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤١٨هـ .
٢- الاعتصام ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق د. هشام بن إسماعيل الصيني ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ .
٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ومعه عدة السالك للشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٢٠هـ .
٤- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي ، عناية الشيخ : عرفات حسونة ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة .
٥- تفسير ابن القيم ضمن تطبيق الباحث القرآني .
٦- تفسير الطبري ضمن تطبيق الباحث القرآني .
٧- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
٨- تفسير الماوردي ضمن تطبيق الباحث القرآني .
٩- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ .
١٠- الخصائص ، أبو الفتح بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٨هـ .
١١- دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي ، دار الشرق العربي ، بيروت .

١٢- دراسات نقدية في النحو العربي ، د. عبدالرحمن أيوب ، مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧٥ م .
١٣- دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
١٤- ديوان إبراهيم المنذر ، نسخة الكترونية على الشبكة العنكبوتية .
١٥- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة .
١٦- ديوان الفرزدق ، شرح إيلياء الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٣م .
١٧- ديوان امرؤ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ١٩٥٨ م .
١٨- ديوان ذي الرمة ، تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٣٩٢هـ .
١٩- الرسالة ، للإمام الشافعي ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، مكتبة الحلبي ، مصر الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ .
٢٠- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح بن جني ، دراسة وتحقيق د . حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ .
٢١- سنن أبي داوود ، نسخة الكترونية تطبيق الباحث الحديثي .
٢٢- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، قدم له حسن حمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .
٢٣- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستراباذي ، تصحيح وتعليق : د. يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ١٣٩٨هـ .

٢٤- شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن عثيمين ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .
٢٥- شرح اللمع في النحو ، الواسطي الضرير ، تحقيق د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ .
٢٦- شرح المفصل ، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت .
٢٧- صحيح البخاري ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض .
٢٨- صحيح مسلم ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
٢٩- العقل اللغوي ، أبو عبدالرحمن بن عقيل ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .
٣٠- علم اللغة ، د. علي عبدالواحد وافي ، مكتبة نهضة مصر .
٣١- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران ، دار الفكر العربي القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٧ م .
٣٢- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق د. النبوي شعلان ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .
٣٣- فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق السقا وآخرين ، مكتبة الحلبي ١٣٩٢هـ .
٣٤- الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، خرج أحاديثه سيد بن رجب ، أشرف على تحقيقه مصطفى بن العدوي ، دار ابن رجب ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
٣٥- القول المفيد على كتاب التوحيد ، الشيخ محمد بن عثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ .

٣٦- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
٣٧- الكشاف ، جار الله الزمخشري ، رتبه وضبطه ، مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
٣٨- اللباب في علل البناء والإعراب ، أبو البقاء العكبري ، تحقيق : غازي طليمات ، مطبوعات مركز جمعة الماجد بدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
٣٩- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
٤٠- مجمع الأمثال ، الميداني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٦هـ .
٤١- مجموع فتاوى ابن تيمية ، مكتبة العبيكان .
٤٢- المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح بن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .
٤٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، شرح وتعليق : محمد جاد المولى وآخرين ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٠٨ هـ .
٤٤- مستقبل الثقافة في مصر د. طه حسين ، مؤسسة هنداوي نسخة الكترونية .
٤٥- معجم الأدباء ، ياقوت الحمودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٤٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق الشيخ: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٩٢م .
٤٧- مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر .
٤٨- مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان ، مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٥٥ م .
٤٩- الموشح ، المرزباني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
٥٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، الإمام السيوطي ، تحقيق : د. عبدالعال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
٥١- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور الثعالبي ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

المصادر الرقمية :

١- مقال : التفكير اللغوي ، العقل والكلام والقراءة ، زين سليم ، مدونة موضوع .
٢- مقال : ما هي علاقة اللغة بالتفكير ، فؤاد أحمد إبراهيم .
٣- مقال : اللغة وأثرها في توجيه وتقييد الفكر البشري د. سالم موسى .
٤- مقال : على الشبكة العنكبوتية بعنوان (التفكير)، إبراهيم أينوشوكاتي .

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٦١٧
٢-	Abstract	٢٦١٨
٣-	المقدمة	٢٦١٩
٤-	(تمهيد)	٢٦٢٦
٥-	المبحث الأول: كيف نفهم التفكير اللغوي (البواعث والقيمة)	٢٦٣٣
٦-	المبحث الثاني: العقل مستودع التفكير اللغوي :	٢٦٣٧
٧-	المبحث الثالث:نماذج وشواهد على تأثر المنجز اللغوي بالعقل :	٢٦٤٧
٨-	المطلب الأول : شواهد تأثر المنجز اللغوي بالعقل سلباً (الانزواء اللغوي):	٢٦٤٩
٩-	المطلب الثاني: شواهد تأثر المنجز اللغوي بالعقل إيجاباً (التجلي البياني) .	٢٦٦٠
١٠-	نتائج البحث وتوصياته :	٢٦٧٨
١١-	ثبت المصادر والمراجع	٢٦٨٠
١٢-	فهرس الموضوعات	٢٦٨٥

تم بحمد الله